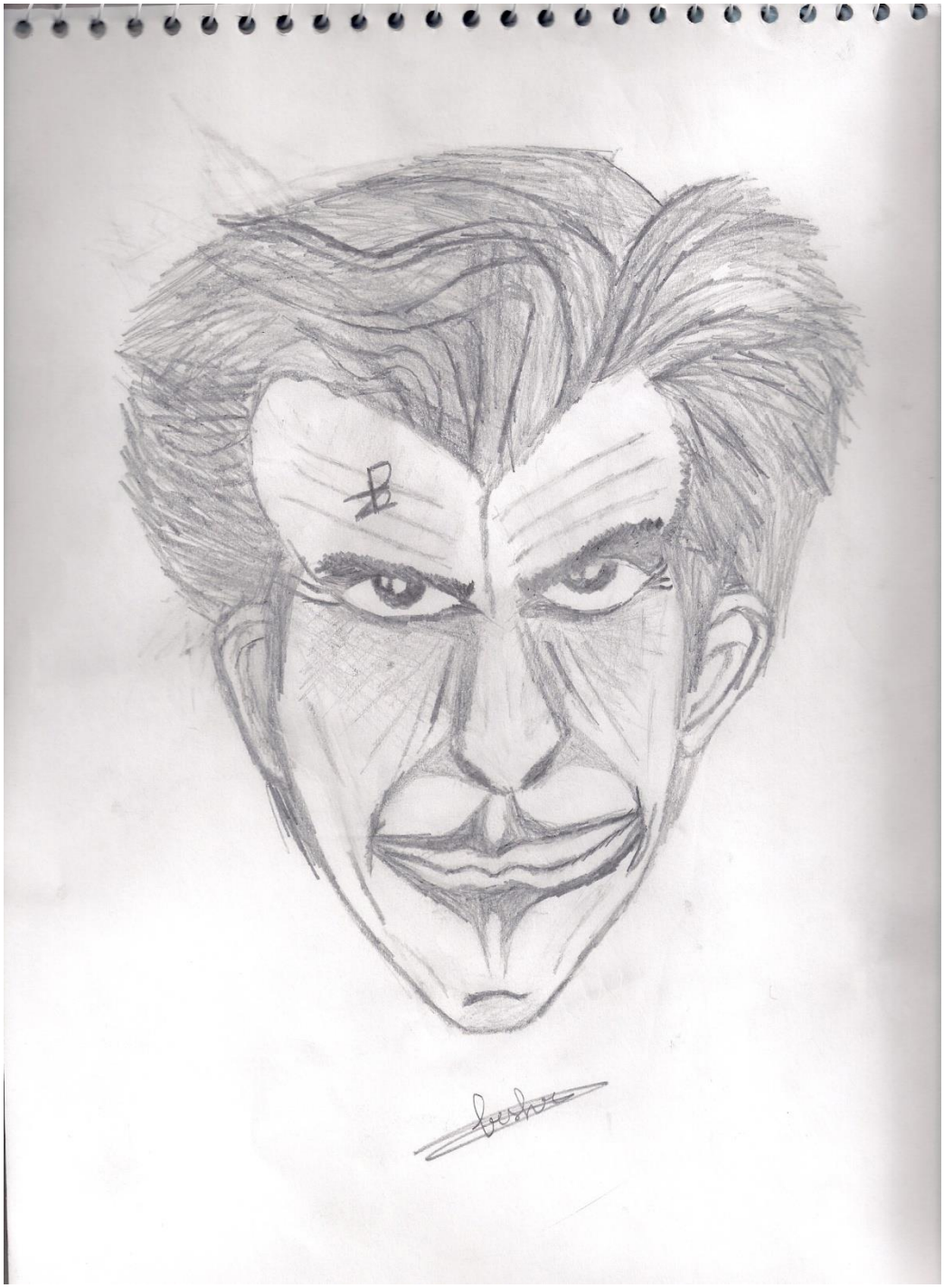

مجموعة قصصية: ظل الجبان فراشه

للروائي المدرس : أحمد محمد إبراهيم.

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب .

حاصل على موافقة اتحاد الكتاب العرب .

مجموعة قصصية بعنوان: ظل الجبان فراشه.

الكاتب: أحمد محمد إبراهيم.

البريد الالكتروني: ae3593588@gmail.com

الرقم الدولي للنشر ISBN:978-9933-0-0963-2

سألوني من الصديق ؟ قلت من لا يزال معي طول الطريق.

الإهداء :

إلى النبي الذي حوصر ثلاث سنين ليخرجني من ظلمات الجهل إلى الأنوار.

للقلب أمي و الخبرات أبي والشهامة أخوتي والسند زوجتي والروح بنيتي لإيفا و أديل مرة أخرى أركم حياتي القادمة.

أخي المهندس باسم سلهب وعائلته الكريمة.

لأصدقائي المترجمين: محمد مكي، بشار رافع، إبراهيم عيسى، أيهم رقية.

الكاتب و الأديب المبدع : رامز بركات .

لظلال الحروف و قرائي الذين غمروني بحبهم مع عملي الأول برواية لا أدري.

قصة رقم 1: ظل الجبان فراشه

1- متلازمة الصراع[1]

دبَّ الدفء في جسدي العجوز،وغفوت مطولاً بعد ليلةٍ حافلةٍ، من مراقبة سكير الحي من نافذتي الخفية، في علية بيتي الصغير المؤلف من طابقين، قبو لمآدب الطعام التي يأتي بها الأغنياء لإطعام الفقراء وإعطاء الدروس الدينية ،وإجراء مشورات أهل الحي الهامة، كل ذلك تبركاً بي.

أنا من ؟ ببساطة لا أعرف من أنا ، هي أزمة الهوية المعمَّقة التي أعيشها ، ولكن السكير هو من كان سبب نجاتي من الضياع ضياع اللا انتماء، كيف ذلك ؟ تابعوا قصتي في كلماتها التالية.

أنا إمام المسجد هو سكير الحارة ، مع تباشير فجر كل صباح ومنذ عشرات السنين، ينازعني أمران أولهما دفء الفراش و إغفاءة الفجر وثانيهما الواجب المفروض عليَّ من الله والمجتمع وبحكم عملي كمؤذن للمسجد وإمام للمصلين ، في تلك اللحظات القليلة أخوض أشرس المعارك صدقوني بين نفس تحب النوم ونفس تحب الله ، وأفكر مطولاً لا بأس فلتنم قليلاً ، ثمَّ يقاتلني ضمير الواجب ، وأحيان كثيرة كنت ألقي

---

[1] مرض نفسي يشير لانفصام شخصية المريض لشخصيتين متناقضتين غالبا وتسمى علمياً شيزوفرينيا.

بنفسي من حافة سريري المرتفع على أرض الغرفة كي لا أنام عن واجبي ولأنهي الصراع بأسرع ما استطعت حتى إنَّ الكدمات قليلاً ما فارقت وجهي .

على أن هذا العراك بين الروح و النفس استمر مطولاً وبشكلٍ يومي عشرات السنوات ، خاصة في ليالي الشتاء الباردة ولطالما انتصرت روح الواجب لا روح المحبة على نفس التهرب لا نفس الهروب شتان ما بين التهرب والهروب ، فالأول يعني تأجيل الالتزام بالحق والثاني يعني إنكاره والتهرب نهائياً منه.

لكني كنت قد بدأت اعتاد هويتي التي فرضها وجود السكير وإيمان الناس بي لا إيماني بنفسي أو بالدور الذي أقوم بع لعباً وتمثيلاً.

2- معركتي مع السكير

أما معركتي التي كانت مستحيلة الحل ، فهي مراقبة سكير الحي من نافذتي الصغيرة الخفية التي لا يعرف بها أحد غيري.

أكنت أغبطه، وأتمنى أن أكون مثله ، كل يومٍ معه امرأة و لكني كنت مع الكثيرات منهن وبرغبتهنَّ المطلقة و بالحلال كما تهيأ لهنَّ ولم يغب عن بالي أني أشد انتهاكاً للشريعة باسمها من السكير ، و على الدوام كنت أعقد المقارنات بينه وبين طلاب العلوم الشرعية عندي ، فقد كان بذاته ذات يومٍ منهم ، ولربما حسدته لأنه حسم معركته وحدد هويته ، على العكس

منـي تمامـاً ، كـان النـاس يتـداولون عنـه أحاديـث تصـفه بالمسـخ وبـالغول وبـالمنحرف ، ولربمـا كـان شـكله عـاملاً هامـاً فـي انطـلاق ألسـنة النسـاء الحـادة لتنشـر عنـه أسـوء الشـائعات و أقـبح الأوصـاف، كـان الله فـي عـون مـن جعلتـه النسـاء هـدفاً لهـنَّ، إذ كـان يكفيـكَ أن تـرى عينـه اليمنـى الصـغرى و عينـه اليسـرى الكبيـرة الجاحظـة ، وكـأن قرصـاناً قـد خـرج مـن وجهـه لـيملأ قلـوب النـاس بـالخوف والـذعر ، وكمـا يقـول المثـل : (ربّ ضـارةٍ نافعـة) ، فقـد كـان يسـهر مـا بـين السـابعة مسـاءاً وحتـى الواحـدة مـن بعـد منتصـف الليـل، وفـي هـذا الوقـت تقـف الحركـة تمامـاً فـي كـل الحـي، ولربمـا أمنـت مـديناً لـه بإلغـاء درس مـا بعـد صـلاة العشـاء وتفرغـي للأرملـة التـي تزوجتهـا سـراً، هـذه الأرملـة الجميلـة التـي عجـز عـن وصـالها كثيـرون، جـاءت تسـتوهبني نفسـها كمـا قالـت، بـل إنهـا أرادت وبـدماغٍ مغسـول تمامـاً مـن علاقتـي بهـا التكفيـر عـن خطاياهـا ، و هـي الوحيـدة التـي كانـت تبصـق علـى السـكير وتشـتمه و تهينـه وهـو متبسـم ضـاحك، مـا السبب ؟

هـل كـان جمالهـا ؟ أم إنـه اعتبـر تواصـل شـتيمتها لـه دليـل علـى أنـه إنسـان علـى قيـد الحيـاة باعتبـار أن الجميـع يقاطعونـه إمـا خوفـاً مـن شـكله و هـو الغالـب علـى النـاس ، وإمـا تحاشـياً لألسـنة النسـاء التـي كانـت تلـتهم لحـم السـكير وهـو علـى قيـد الحيـاة، وكـم

كنت أرى فيه نداً لي ، وهو الذي لم يكن يعير أحداً في الدنيا بالاً.

3 –واثق بالله مغرور

المشترك بالوقت بيني وبين السكير كان وقت الصلاة (المغرب والعشاء) فلا بد لي من المرور من أمام زقاق بيته إلى المسجد ، وكنت على الدوام أشعر بخوفٍ كبير منه سببه ما يشاع عنه من شرور ؟؟هكذا كان ظن الناس ؟؟ لكني كنت أخاف أن أبدي حقيقة مشاعري تجاهه و شدة إعجابي بشجاعته ، وأن لا أقاوم إن دعاني لأكون صديق سهرته الرفض ، وحسد سببه إجلالي لرجل وجد هويته ورفضَّ النفاق..

وكان كلما رآني ابتعد عن طريقي وضعا رأسه ونظره في مكان أخر ،قلت له: السلام عليكم ، بكى و نزلت دموعه وأقسم عليَّ أن أقرأ له على كوب ماء لعله يهتدي، و لطالما تحاشاني، ومرةً بعد مرة قال لي : لا تنزعج يا شيخ مني ، أنا أهرب من طريقك، إجلالاً لله و مخافة واحتراماً لأولياء الله ، أنهيت الحديث معه فوراً كي لا يعرف الناس سبب ابتعاده عن طريقي و كي لا يعرفوا شدة تقاه ، فالجميع وعلى الأخص النساء والأطفال كانوا يرون بابتعاده عن طريقي كرامة لي تفوق كل أعمالي ، ولا أخفيكم سراً لقد تحولت إماماً بنظر الناس بسبب ابتعاد هذا الرجل عن طريقي .

وفتحت لي بيوت الناس وقلوب النساء وأموال الفقراء وأطايب أطعمة الأغنياء، وكل ما يحلم به شخص من احترام وجاه وقبول لدى فئات المجتمع كلها.

قبلت الدور الجديد برحابة صدر ، وكلمَّا حاولوا إزاحة السكير من الحيّ، انبريت بكل جهدي مدافعاً عنه ، والناس يزداد إجلالهم لي ، لأنهم ظنوا أنَّ دافعي نبيل وأنَّ حبي أكبر من أحقادهم ، إنَّ أحداً منهم لم يكن ليعرف أنَّ السكير هو من أعطاني هوية الولي التقي المحبوب من الله كما روجوا لي وأقنعوني، ومن الناس كما بدا على أفعالهم وأقوالهم ، وأنَّ دفاعي عنه لإدراكي العميق لدره المهم في صرف ألسنة الناس عني، وأنظار النقد والتحليل لأفعالي الخبيثة، طفل صغير لم يتجاوز عمر العشر سنوات ، قال لي : لم يبتعد عن طريقك السكير ، فأجبته وكلي ثقة، الله يحمي المؤمنين ، قال : هل أنت مؤمن يا عماه ، بهتني السؤال؟ وخفت أن يكون قد اكتشف تناقضاتي التي لا تعد ولا تحصى ، ابتسمت وأكملت طريق النفاق، تبعني الطفل وقال : أتدري ما قال السكير حين سألته لماذا يبتعد عن طريقك، وتابع دون أن ينتظر إجابتي قال لي : لله حرمات و للمؤمنين وإن كانوا منافقين كرامات ، لأن الناس عليهم أن يعتادوا فعل الخير حتى تستيقظ عقولهم من ثباتها، أخافني كلام السكير للصبي ، وقلت لنفسي مغتراً ، وإن كشف أني أنافق لا ضير ، فلا أحد يكذبني ويصدقه، قال لي

الصغير : الواثق بالله متواضع وأنت واثق بالله مغرور أو هكذا يخيل إليك ، لا يا سيدي إن الكبرياء لله والغرور والفخر لإبليس وأتباعه، وفرَّ الطفل هارباً من أمامي.ظننت بعد عدة أعوام من دوري هذا أني أصبحت بهوية ولكن ..تابعوا الحكاية معي.

4 – السكير التقي الشهيد

ذات يوم قامت الأرملة الجميلة بتسوقٍ واسع في عدة أحياء من المدينة ، نسيت أن أخبركم أنها من العروق الشقراء في مجتمعٍ كله يحلم بزوجةٍ شقراء ، وأنها ذات جسد جميل و قد رشيق وخصر رائع وحدقتين سوداويتين قاتلتين، ناهيك عن أنَّ الغالب على مجتمعنا شباب ذكور هيئتهم فلسفة المجتمع الذكورية ليكونوا فحول نكاح لا رجال علم ونجاح، وترصدتها مجموعة من المراهقين وتبعوها حتى عرفوا مكان سكنها ، وكان لمعرفتهم بأنها مطلقة دور كبير في تخطيطهم لاختطافها واغتصابها ، على اعتبار أنها ليست ملك رجل ، نعم إنه عقل جمعي ورثوه عن أجدادهم ، ففي صميم تاريخنا الجاهلي كانت المرأة تورث كما تورث الدابة ، وما دامت بلا رجل ، فما المانع من نكاحها ؟؟؟

وفعلاً خططوا لاختطافها ، ودخلوا في معترك التنفيذ ، وقاموا بالهجوم على بيتها فجراً قبل موعد الآذان بنصف ساعة ، في تلك الساعة كانت معركة الروح والنفس على سريري قد بدأت

بين نفسٍ راغبة بالنوم وروحٍ تسعى للقيام بالواجب المفروض، وصرخت الأرملة ، وملأ صوتها الحي، بلا جدوى، وحده السكير من هجم وقاتل ودافع عن شرف الجارة ، السكير الذي وصف بأنه بلا شرف لكثرة عشيقاته ، هبَّ للدفاع عن شرف الأرملة والحارة ، وطال عراكهم وقد انتبهت و حللت الأمر فوراً بعقلي ، فلو قمت و أذنت معلناً قيام صلاة الفجر،لخرج رجال الحي كلهم معي ولانتصر السكير و عرفت الأرملة أن الحب الحقيقي لها ، إنمَّا هو في قلب السكير أما أنا فلا أعدوا عن كوني ذكر فراش ، فقررت أن أؤجل رفع الآذان حتى لا ينجو من سكاكين الخاطفين ، وفعلاً قتل السكير و لكنه أنقذها ، مات شهيداً بالرغم من أنه لم يكن ذات يوم أخلاقياً.

5 – ظل الجبان فراشه

لم تكن الأرملة غبية ولا متدينة عن غباء وجهل ، فتقدمت لتكتب على باب داري جملةً أعادتني بلا هوية وكشفت زوري للجميع (المرتد عن الحب ما تعقيبه على ارتداده، هل اشتقت لجهنم ؟ فتركت الحب وفترت حرارة قلبك ، لك ذلك فجنة الحب تحتاج من لا يرتد أبداً عن حقه في حياته ومماته ، الحب شجاع وأنت جبان ظل الجبان فراشه).

مشى الحي كله بجنازة البطل الشهيد ، أو السكير الشهيد الذي بالأمس كان ذكر إبليس خيراً من ذكره، أما عن جملتها التي كتبتها على باب داري فقد حرضت لدى الناس التفكير الناقد

الـذي غفـى عنـي سـنواتٍ طـوال لأنهـم كـانوا يهتمـون بـالثرثرة على سكير الحـي ، واتخـذت قـراري وخرجـت امثـل دور المجنـون الـذي فقـد عقلـه ، وارتحـت مـن يقظـة الفجـر ومـن عـبءِ التمثيـل ومــن شــرائع أهــل الأرض ، العجيــب أن بعضــهم اعتبــر جنــوني بســبب تقــوايَّ وحزنــي علــى الســكير ، وكــم كنــت أجلــس علــى موائــدهم فيتصــدقون علــي بــالخبز والشــاي واللبــاس ويــروون قصــتي ، ويقولــون عنــي مجنــون الحــي ، يومهــا ذهبــت وكتبــت على قبر السكير:(العقل هبل ، الله يعافيني).

وفعـلاً بـدأت أشـعر بـالقرب مـن الله ، بـدأ الأطفـال يحبـونني، بـدأت الـتمس اسـتجابة الله لـدعائي بـالرغم مـن أنـي بنظـرهم مجنـون وبنظـر نفسـي مقصـر ولا أقـوم بشـعائر العبـادة المفروضـة علـيَّ والتـي كنـت قـبلاً أواظـب علـى ممارسـتها، ويبـدو أن مـوت السـكير أحيـا قلبـي و أنقـذني مـن نـار النفـاق، كمـا أن حـب الأرملـة خـتم حياتـه بـأعطر سـيرة و أحلـى ذكـر، واتهامهـا لـي بـالجبن وبكلمتهـا المشــهورة التــي باتــت فيمــا بعــد مضــرباً للمثــل (ظــل الجبــان فراشــه) حــولني لعابــد حقيقــي وزاهــد صــادق وحكــيم لا يبــالي بأحكــام البشــر ، إنهــا المــرأة أيهــا الســادة ، إذ أحبــت أو كرهــت تخلق بإذن الله

رجـلاَ ، لـذا قيَّـل خلـف كـل مجنـون زاهـد و سـكير شـهيد أرملـة كتبت قولتها الشهيرة (ظل الجبان فراشه).

قصة رقم 2: الغريب

شخصية غريبة

ورغم كل الفترة التي تألفنا فيها ، وأصبحنا صديقين مقربين خلالها ، لا زال يضع الحواجز بيننا ولا يمكنني الاقتراب منه كما أتمنى ، مع أنني لم أقدمهٌ لأحدٍ من أصدقائي إلا وأحبه وتمنى مصادقته ،وهنأني على هذا الصديق المفكر والعاقل والأديب والمميز ، المشكلة لم تكن في رأي الناس به ، ولا بتعامله معهم ،بل بابتعاده عنهم وتركه التواصل الوثيق معهم و كان دائماً ما يعطيني آراءه الواقعية جداً عن طبيعة وصفات كل شخص يراه، بعد أن يجلس معه لمرةٍ واحدة، والمفاجئ بالنسبة لي، أنني أعرف أن كلامه دقيق تمام الدقة، لأن ما يقوله عن واحدهم من خلال جلسة واحدة، كانت معلومات بقيت أشهراً طوال حتى كونتها عنهم.

لم أكن أستطيع وصفه بالاجتماعي لهذه العلة؟ وبالوقت عينه لم أكن أستطيع وصفه بالمنزوي لكونه يجيد التعامل مع الناس؟

كان سامي حريص تمام الحرص على أن يقول الحق بمنطقيةٍ مقنعة له أولاً ، لأنه كما يقول مخلص لحق عقله في التحرر من الأنا الممزقة بين ولاءاتها العائلية والطائفية والاجتماعية،ورغم اجتماعيته أو لنقل تقبل الناس السريع

لوجوده وثقتهم لرؤيته وأرائه إلا أنه كان يحافظ على خطٍ أحمرٍ لا يتعداه ويقول لي: لا أريد أصدقاء جدد ، لم أستطع يوماً فهم مشكلته، ولم أكن أزوره في بيته ولا أقرأ ما خلف كلامه العميق، وكان يستفسر مني قبل أن يأتيني زائراً، وكأني في تحقيقٍ!!عن شخصية من عندي وما اسمه؟ وماذا يعمل؟؟؟ ثمَّ وبناءاً على تقييمه الدقيق جداً للشخص يحدد ما إذا كان سيأتي؟ أم لا.

ولأنه أحبني فقد علمني الكثير ، تخيَّلوا أنه كان يرسم بعقله الكبير والواعي والمنفتح، ما الذي سيقوله أمام كل شخصٍ منهم بل أكثر من ذلك كان يخبرني سبب ابتعاده وعدم سماحه لفلان من أصدقائي بالتقرب منه ، معطياً تحليلاً قوياً جداً ، وبتُّ أتساءل؟ متى سيجدٌ بيَّ ما يجعله يقرر مفارقتي؟ للحقيقة أرقتني هذه الفكرة ، لأنه الشخص الأكثر فائدةً لعقلي ولفكري، فمعه تعلمت الكثير ممَّا فاتني مع رفاقٍ يعيشون على هامش الفكر والمنطق.

ومرةً اجتمعنا وطال مقامنا سويةً في كبد ذلك اليوم، بدايةً كان صديقنا عامر مثقفاً متأمركاً من خرم أنفه وشعره الطويل المخصل وبنطاله المتعاقد على الهبوط كلمَّا ازداد تغربه عن مجتمعنا حتى أدق تفاصيله وأسلوبه في الكلام والتعامل، وأنا كنت عادياً في كل شيء ، ليس لرغبتي بل لصدفةٍ ما ، وسامي (بطل القصة) كان ذكيا يتكيف مع جميع المواقف تبعاً لمعاييره

الخاصة، وجاءنا شخص رابع .. كان شادي ذو الجسد المربوع والملامح الناعمة والرقي الكبير في تصرفاته والصوت الرخيم الذي ينفذٌ عميقاً في قلب من يسمعهٌ، جميعنا مشرقيون ، وأبناء وطنٍ واحد، وبنفس الموقع الاجتماعي تقريباً وعازبون وموظفون في بداية حياتنا، وبدأ عامر استقباله الرائع والحاتمي لصديقه شادي الذي أصبح فيما بعد صديقنا جميعاً باستثنائه (هو)، وجلسنا نتبادل الأحاديث وأحبه شادي وهام بعقله وفكره ، وكان عامر صديقاً لشادي في العمل وتربطهم مصالح مادية لا يمكن أن تخفى على ذكاء سامي ، وبدأ شادي بعزيمة سامي على كل نوعٍ من أنواع الطعام التي فرشت على طاولة المصلحة، وانتبه شادي لضجيج صمت وعقل سامي الذي بقيَّ عزيزاً وصامتاً ومحافظاً على هيبته ، ولم يقرب شيئاً من الطعام ولكن شادي أحب كبريائه فجاراه ولم يتناول شيئاً.

وبدأ الحديث الدنيوي الدنيء بين شادي وعامر بكلمة إخوان لتعني شكلاً أننا ننتمي لتصنيف (مشرقيون) مميزون بهويةٍ موروثة ولم نضح كثيراً للحصول عليها،إذ يكفي أن يكون والديك مشرقيين وأنت شيطاناً لتكون بعرف البشر لا الإله مشرقيً،ولتخفي ضمناً تمييزاً مقيتاً وغلافاً مقدساً لعلاقاتٍ حقيرة هدفها المال وانفضَّ الاجتماع بسرعة وبدا للجميع تعلق

شادي بنجم وشخصية سامي الطاغية على كل الحضور وفي كل وقتٍ ومكان تقريباً وبشهادة كثيرين.

ودعاه لبيته ، فتصدى بحصافةٍ ودبلوماسية ورفضٍ راقٍ وخبير.

المشكلة عندما التقيت سامي ، توقعتُ أن يعجب بكلام شادي وتصرفاته الراقية معه، ولكنه صدمني بقوله ، الفئويين أعداء لا يناسبون شخصي، في لحظةٍ قد يدخلوك الجحيم لخلافٍ تافه، إن أخطر أنواع البشر هم العنصريون، لأنهم بلا أخلاق ولا مبادئ وكل شيءٍ يبرر عندهم باللا منطق .

ومرت الأيام وازداد استغرابي لتحاشيه لأفكار المجتمع وتفوقه على أعمار وعقول الكثيرين بأفكاره التي تبدو أفكار عبقريٍ قادمٍ من كوكبٍ آخر..فكثيراً ما كان يشبه النقيض بنقيضه ، فيقول لو أنك جئت بأي متحيزٍ أو متعصب أياً يكن توجههم وسمعت خطابهم المتبع عن بعضهم البعض دون أن ترى أشكالهم أو تسمع أسماء أنبيائهم لأصابك الذهول لكون خطابهم واحد ومراميهم واحدة والاختلاف الوحيد في الشخصيات التي قدسوها وبجلوها.

وقد تبينَّت وجهةٌ نظره لي ، بعد الخلاف الذي دبَّ بينَ عامر وشادي و أن تحليله كان دقيقاً جداً ، إذ حاول شادي لكوني من منبعٍ شرقي مثله ، أن يشدني لطرفه بدعوى أن عامر مولود في الغرب و متعصب حد التطرف للثقافة الغربية...معدداً

أخطاءهم بحق الشعوب الإفريقية و اللاتينية.... وفعلاً كان كلام وتحليل سامي استشرافاً حقيقياً لما يحصل أمامي، وما حصلَّ كان بعد عامٍ كامل على تحليل سامي لشخصيتي عامر وشادي.

2-السيد غوغل

ومع كل ما سبق وقلته عنه ، كانت لنا أيام جميلة قضيناها سويةً لجانب بعضنا البعض ، ذات مرة كتب سامي على صفحته الإلكترونية على الفيس بووك:

ما أبهاك وما أحلاكَ يا عامر!

وما أطيبك يا غدير! نجمان حللت بقربهما اليوم !

يشبهان بدفء محبتهما حساء الشتاء .

يتحدث غدير عن أشياء غريبة وملفتة ومميزة بالنسبة لمن حوله ، ويستشهد بالسيد غوغل والسيدة انترنت رِضَى إبليس فليسقط عليهما ، ويعلق عامر بخفة دمه المعهودة رامياً لسذاجة استشهاد غدير بالسيد غوغل كلما قال غدير شيئاً ما افتح غوغل فيمتعض غدير وينظر شذراً وبغضبٍ لسخرية عامر منه ويبقى صامتاً و لا يعلق، وأنا أعيش معهما يوماً جميلاً وأخاف أن نبكي ذات يومٍ لا قدر الله جمعتنا الجميلة هذه في كبدِ هذا اليوم، حضرت التبولة[2] فعلق غدير التبولة كلها دم ملمحاً لأهمية مكوناتها لتقوية الدم وسقطت دموعي من شدة الضحك عندما قال له عامر ممازحاً : اسمعنا رأي السيد غوغل

[2] *كلة شعبية سورية عمادها البقدونس .*

وهنا أسجل لكم من باب العلم بالشيء أن غدير كان يغالي بتقليده للباس وثقافة الغرب حتى يبدو بمظهرٍ مختلفٍ ومميزٍ ولافتٍ ، إضافة لكونه كان يحقر المثقفين على الدوام فتلك كانت مهنته كونه حاصل على دكتوراه تحقير للشهادات العلمية وللحاصلين عليها معتبراً الشهادات الجامعية لي ولسامي مهما بلغت من التطور، لا تجعل منا إلا صفراً غير ذي معنى حتى ولو وجد الرقم اليميني المعتبر بجوار الصفر، كل ذلك كان بسبب فشله في الحصول على درجات بكالوريوس تهيؤه لدخول الطب ، ولم يكن ذلك إلا بسبب رفاق السوء الذين قدموا امتحانات الثانوية معه ، ليكتشف متأخراً تفوقهم عليه بخداعهم له طوال العام وتدني مجموع الدرجات العام لديه بالقياس لمجاميع درجاتهم، أيها السادة : نحن نعيش أجمل اللحظات بضحكنا وابتسامنا وهزلنا في وقت الخسائر والحروب ، في وقتٍ مليءٍ بالخيبات لا بدَّ أن لضحكاتنا معنىً يفوق تلك التي تنطلق في الظروف والأحوال العادية، وبقيَّ لقبٌ غدير السيد غوغل حتى بعد سنواتٍ طوالٍ فصلتنا عن تلك الحادثة ، بل كان الاسم يثير الحنين فينا لنروي القصة مرةً تلو الأخرى لنتحدث عن روعة أيام الشباب والصبا.

3-صورة الوزير

ونظراً لثقتنا بذكائه الحاد، بدأنا نعود إليه لحل المشكلات التي تبدو كمعضلاتٍ بلا حل ، وتزامنت فترة تعارفنا الوثيق به مع انقطاعٍ مستمرٍ لتيار الكهرباء عن حيّنا بالوقت الذي تبقى به الكهرباء في الحي المقابل لنا ، وشعر الجميع بامتعاضٍ ونقدٍ وظلمٍ لسلوك الحكومة مع أنَّ الموظف الملتزم بالعمل لم يكن يمثل الحكومة لا من قريب ولا من بعيد ، ولكنه يسعى لإرضاء أبناء الحي المقابل لكونه حي يقطنه المسؤولون في الحكومة بالرغم من كون حيِّنا مليء بالعسكر والضباط عماد وجود و سياج دفاعٍ عن كل وطن، وسبب وجود وسيف البتار في وجه الإرهاب والأعداء، وذهبتٌ إلى السامي الصامت والذي كنا نعتقد أن التفكير الزائد عنده سيجعله يصل لمدارك الجنون ، وكأنه قرأني يومها وقال لي : حينما كنت صغيراً كان الكاهن يخبر أبي أن كثرة قرأتي للإنجيل ستكون سبباً لجنوني ، كان أبي يصدق الكاهن ، وحدي من كان يعلم؟؟؟ أن الكاهن يكره ثقافتي الدينية المتفتقة عبقريةً ومنطقاً والتي أحرجته مراتٍ عديدة أمام زواره ، عندما كان يعظ ويخطئ، وأصحح له، إن أكبر مؤامرةٍ شنت على سورية والشرق ، كانت بإقناعنا أن التفكير يقود للجنون وأنه لن يقدم ولن يؤخر ، تلك دعاية هدفها الانحطاط بنا أكثر.

وشكوتٌ له وضع الكهرباء بحارتنا، وزارني واتصل بعامل الكهرباء ، الذي برر بربرية التصرف بسياسة الحكومة وبضريبة الحرب ، وعندما سأله سامي عن سر عدم انقطاع الكهرباء في بعض الأحياء

غامزاً بكلامه للحي المقابل لحيّنا ، فقال العامل: سياسة الحكومة والفساد نخر كل بيت ، فكيف بالحكومة!

أغلق الهاتف ويبسم وضحك ضحكاَ غريباَ ومتواصلاً وقال بخبثٍ: محلولة لا تخاف ابن العم كيف؟ قال سترى، أمهلني يومين وأخذ من أهالي المال الذي كان مجموعاّ لشراء مولدة كهرباء، وقال لهم : ستكون لديكم مولدة تعمل بلا تكاليف.

غاب أسبوع وعاد ومعه عمال كثر ، قاموا بنصبِ هيكلٍ حديدي ولم نفهم السبب وكلما سألناه، أجاب : (أنتو ليش بصلتكم محروقة ، بدكم الناطور ولا العنب)، وبقيَّ صمته المترافق مع ضحكه المستمر استفزازاً كبير لنا ، حتى أن قاطني الحي ، قالوا: مجنون وحل ما بتركب العبارة مع بعضها، الملفت غرابته في التصرف وعدم انزعاجه لكل كلامنا واستمراره بالإشراف على العمل.

وانتهت المرحلة الأولى ، وجاءت المرحلة الثانية وعلقت صورة كبيرة لوزير الكهرباء ولكنها ضوئية ،واحتج أهل الحارة على تصرفه المستفز لهم ، ولكنه أصرَّ على فكرتهِ وطبقها،انتظر قدوم سيارة الطوارئ ، واقترب منهم شاهراً بطاقته الشخصية بسرعة البرق ودون أن يراها أحد، وهو يرتدي طقماً أستأجره لليلةٍ واحدةٍ فقط، وسيارة ليموزين تخطفُ الأنفاس، ثمَّ تحدث بصوت رخيمٍ هادئٍ وعميق ، بعد أن مرر بطاقته برشاقةٍ وسحر على أعين موظفي الكهرباء، معكم سراج الدين صهر وزير الكهرباء، وقد نصبت له هذه الصورة لأنه يحب أن يراها من بيته في الحي المقابل منارة طوال

اليوم ليل نهار، تلعثم الموظفون جميعاً ، أين يسكن الوزير؟ أشار بيده للحي الذي لا يقطعون عنهُ الكهرباء!

هناك في حي المسؤولين المقابل ، وأجابوا بصوتٍ واحد تكرم يا أستاذ، وانسحبوا وماهي إلا دقائق ! وكان التيار الكهربائي ينير الحي، حتى إن أطول ألسنة أهل الحي قطعها التيار الكهربائي تماماً ، وبدؤوا يحاولون زيارته ، فهدد بالتخلي عنهم ، ورفض التعرف على الكثيرين،على الرغم من أنَّ الكثيرين مستعدون لما يريد ، ولكنه بقي ملفوفاً بالغرابة، فغيره تحدث عن الكهرباء ، وأنه هو (أي المتحدث) من تكلم مع واسطته وضغط على الموظف لإيصال التيار الكهربائي، وكم كنا نمتعض من مساعدة سامي لهذا الكاذب وسواه بشكره على جهده وبقوله لولاك ياأخ ذكرني باسمك ؟؟ كنا بلا كهربا، ولم يكتفِ بما فعل ، فاتفق معنا على معاقبة الموظف على قطعه الكهرباء عنا بفعل فساده فتراتٍ طويلة ، وبدء الجميع وبشكلٍ منتظم يهاتفون الموظف؟ الكهرباء ضعيفة الكهرباء مقطوعة (الوزير بيزعل ترى مو بصالحك نخبر صهروا) وفعلاً كان همه إبقاء الصورة منارةً وعلى وجه الخصوص ليلاً، ثمَّ طلب سامي من الجميع ليلة الجمعة تشغيل كل أجهزة الكهرباء المنزلية ، وازداد الضغط على محولة الكهرباء فاضطر الموظف لقطع الكهرباء عن حي المسؤولين لإبقاء صورة الوزير منارة ، وفي اليوم التالي : كانت الـأخبار تتوارد عن فصل مدير كهرباء المدينة ومساعديه والكثير من الموظفين وعلى رأسهم الموظف الفاسد والمغفل والذي أذاق حارتنا ويلات التقنين بفساده،

والذي أوصل الأمور لما وصلت إليه ، اتصال سامي ذاك اليوم فجراً بالموظف وقال له بعد أن ذكره بأنه صهر الوزير: نريد كهرباء لحارتنا غامزاً لحارة المسؤولين، ولكن صورة الوزير ، فقال خلي الكهربا للكل ، واتفق معنا على قطع الكهرباء عن كل بيوتنا بعد قدوم الكهرباء بخمس دقائق ، وفعلاً فعلنا ما قال وتبينَّ لنا أنه بعمله أدى لارتفاع في قوة الكهرباء في الخط المغزي لحي المسؤولين وإحراق كل كهربائيات بيوتهم ، لكون التيار الكهربائي كان في الدقائق الخمس الأولى ضعيفاً وبعد أن قمنا بقطع الكهرباء عن بيوتنا ، ازدادت شدة التيار المغذي لحيِّ المسؤولين فكان ما كان، ونزلَّ العقاب عادلاً بالموظفين والمسؤوليين.

4- كلانا منفاخ

وحضر ذات يوم لبيتي وكنت أقيم ببيتي منذ زمنٍ طويل مع ابن عمي ، وتعارفا سامي صديقي وهادي ابن عمي، ثم قدمتٌ له ابن عمي الثاني علاء، وبعد فترة تردد علينا جميعاً ، وانعقدت أواصر الألفة فيما بيننا ، ولكنه لا يزال يرسم الحدود بمهنيةٍ عاليةٍ ، ويحدد ما يريد من كل علاقة، لا بل يحلل شخصية الواحد منَّا وكأنه يسكن في رأسه لدقة استنتاجاته، وبعد جلساتٍ معدودة، احتلَّ سامي قلبَ علاء ، ويا له من رجلٍ غريب! يحتل كل القلوب بحكمته ويعرف كل أسرار الشخصية دون بذل جهدٍ ، ولكن أحداً حتى أنا لم نصل لشيءٍ من شخصيته المكنونة في قلبه.

ودار ذات يوم نقاش طبعاً لم أخبركم ، ابن عمي علاء عسكري ولكنه يتمنى أن يعود مدنياً ليمارس هواياتٍ كثيرة لعلَّ أهمها الصيد ، فهو طيب القلب وكريم وشهم ولونه الأسمر الفاتح وعيناه الواسعتان الصافيتان، وكأنهما بندقية صيد تصطادان كل من يعشق الجمال، لأنهما أجمل ما خلق ربي! كل أسرته تعتمد عليه لكونه القلب الحنون والوطن المتسع للجميع ، لكنه يفتقدٌ شيئاً لم أعرفه رغم أني أعيشٌ معه منذ سنواتٍ طوالٍ وها هو سامي يكشف الضَّماد عن جراح ابن عمي التي جعلته يثير السخرية من كل موضوعٍ علمي أقوله ..

طبعاً كنت محامياً أشقر الشعر وذقني ذهبية كسنابل القمح الحزيرانية ، وعيناي تضيعان في ملامحي الأخرى التي تفوقهما جمالاً ووسامة ، وطولي وضخامة جسمي وعملي الذي أمنَّ لي الكثير من المعارف، ودخلي جيد لكن دخل علاء أفضل بكثير.

وجلسنا مع سامي...

قال علاء عني : أحمد ليس محامياً ، أنت صفر ، فدخلك أقل من دخلي ، وحياتك وعملك ليسا بمستوى حياتي ، وهاجمني هجوماً شرساً ، وهبَّ سامي بالدفاع عني والاستفادة من الموقف ليمارس هوايته بتحليل الشخصيات وليصل للزوايا الخفيّة بكل شخصية يتعامل معها.

وسأل سامي السؤال الصميم بعد حوارٍ طويلٍ ونقلٍ جيد لتعابير علاء لمحاكمة عقله أنت تكره من تعلم وواصل دراستهُ، تفاجأ علاء وقال : نعم.

تابع سامي : قل لي ، ما السبب؟

قال علاء : كل من كنت أدرس معهم نجحوا وأصبحوا أطباء ومهندسين ومحامين وأنا كنت الأذكى ولكن وفاة أبي وحبي للصيد ، جعلني أهمل دراستي ودخلت سلكاً احترمه ولكني أعتقد أنهم أفضلٌ مني بنظر المجتمع.

عرف سامي المشكلة وعالجها معي في لقاءٍ خاصٍ جمعني به فقال لي وبدون مواربة :علاء شهم أكثر منك، انزعجت لكنني لم أجبه ، فقال لي: لأنك محتاج له لم تصمت لا حباً ولا احتراماً ولكن مصالحك المادية أن تعيش بجانب شخصٍ كريم ولا يعاملك بالموضوع المادي إلا على قدر طاقتك.

فصمتت إذ لا فائدة من مجادلته ، لأنه أصابَ عينَ الحقيقة، ولكني تابعت وقلت : ألا ترى أنه راوٍ ممتازٍ ومضخمٍ للأحداث، فقال لي: وأنت تضخم الأشخاص، فتقول أعرف فلان من الناس وفلان ، وهو ما يثير حفيظة الرجل ، وكان مصيباً عينَّ الهدف ، بوصفه لي و لعلاء، فأنا أنفخ الشخصيات وعلاء ينفخ السير ..كلانا منفاخ ..ونصحني بالمرات القادمة أن أدافع عن نفسي بحكمة وأن أهجر بعض الكلمات التي تؤذي علاء ، وبدأ يبتعد رويداً رويداً، وكنت قد قررت كشف جميع ما يثير

غرابةً أو لغزاً بشرياً أمامه لأستفيد من نصحه وأتعلم منه وقصصت عليه سبب عدم مساعدتي لأحدٍ ، وعدم تدخلي في أي إشكالٍ بين اثنين ، حتى لو أن أحدهما أو كلاهما أغلى أصدقائي وهو بأمس الحاجة لي.

وأنصتَّ لي ، فقلت : كنت بعمر صغير تقريباً ستةَ عشر عاماً ، وكنتُ أبيع على بسطةٍ صغيرة ، ساعات وأوراق اليانصيب وكنت أعمل بالقرب من محل العم مصطفى الذي رعاني وحماني من المتسولين وقبضايات السلب والسرقة ، وذات مرةً، دخلت فتاة بعمر العشرينات ومعها طفل عمره لا يزيد عن العشر سنوات ، كان الطفل يقف وينظر بلهفةٍ لإحدى الساعات التي أبيعها ، فأعطيته إيَّاها ظناً مني بأنه ابن العم مصطفى ولأني أحببتُ إدخال السعادة على قلب طفل ، وما هي إلا سويعاتٍ قليلةٍ حتى جاءني رجل مفتول العضلات وبلا رقبةٍ تقريباً وبشعر محلوق على الصفر وأوشام تملأ يديه، سألني : أنت أعطيت ابني ساعة؟ تبسمت ، ظناً مني أنه قادم ليدفع ثمنها أو ليشكرني ، ولكن بكاء ابنه ودموعه التي تملأ وجهه جعلتني أغير رأيي ، أعاد تكرار سؤاله بفظاظةٍ أكبر ، وجُنَّ جنونه ، عندما قلت نعم صحيح كلام الطفل، وبدأ برمي الساعات والصراخ والتهديد والعواء يملأ المكان بالضجيج، ولولا العم مصطفى لاعتقلت ولكانت خسائري كبيرة ، إذ أنه حطم الكثير من الساعات وجعلني بموقفٍ لا أحسدٌ عليه..ومن

ذلك اليوم وأنا أبحثً عن سبب ما فعله، وقد تغيرتٌ وبتَّ أكرهٌ الدخول بأي عمل لفعل الخير إلا إن كان هناك مقابل مادي.

أجابني سامي ببرود : هما احتمالان ، إما أنَّ الأب ظن أنك تتحرش بابنه لأهدافٍ غير نبيلة- فأجبته مقاطعاً - ولكني لم أفعل ما يدل على ذلك ! فرد : قد يكون الأب من يفعل ذلك مع أطفال الجيران وظنك مثله ، والثاني أنه ظنك ضعيفاً وأنَّ ضغطه سيجعلك تعطيه المبلغ المالي الذي يطلبه بيسرٍ و سهولة، وقد وجد في تصرفك مصيدة، وكلتا الحالتين تؤكدان أنهُ شخص عديم الإيمان بالإنسانية ، ربما لأن هناك من خانه وجرحه ذات يوم ، عليك من الآن أن تعمل على إصلاح وترميم هذا الجزء من حياتك ، وأن تنسى تلك القصة وتعود محباً للخير وفاعلاً له ومنادياً به.

5- مربط الفرس

ولحبنا لعقله وذكائه ، قرر شادي دعوتنا جميعاً على شرف سامي ،وسألتهٌ: هل سألت سامي عن رأيه؟ فقال لي ، نعم حاورته على الفيس وأبدى تقبلهٌ للفكرة ، ومن خلال معرفتي بسامي شككتٌ أنَّ هناك خطأ ما ، ولكني لم أناقش كثيراً.

وجاءت ليلة المأدبة وأطلقت للريح قدمي متجهاً صوب المكان الذي نلتقي فيه أنا وسامي بعد أن أغمز له بتعليمة واحدة على هاتفه الجوال والتقينا وقلت له : شادي ينتظرنا لأنه يقيم حفلةً على شرفك ، امتعضَّ وتفاجأ، وأخبرني بقصة الفيس ، أنها لم

تكــن إلا مجاملــة وأنــه أشــاح بنظــره عــن كــل العلاقــة مــع الشخصـيات التـي تفكـر بعنصـرية منـذ زمـنٍ طويـل،وفعلاً ذهبنـا مــن دونــه ، وبقــيَّ علــى صــداقتهما مــع الكثيــر مــن التكلــف والابتعـاد المـدروس والمخطـط لـه مـن قبـل سـامي ، وبعـد فتـرةٍ عرفـت سـبب اجتنابـه القـرب منـا جميعـاً فـي لحظـةٍ مـا، فقـد كـان ابــن لأبــوين أحــدهما إنجيلــي والآخــر مــن جماعتنــا مســيحي شـرقي، ومـن هنـا كانـت رغبتـه بالابتعـاد عـن الفكـر الطـائفي لا بـل حتـى الـديني ، بـل كثيـراً مـا كـان يرفـع كـلام مـاركس شـعاراً (نقـد الـدين أول مـا يجـب أن يبـدأ النقـد بـه)، طبعـاً كمـا كـان يفسـر اســتناداً لفكــر مــاركس فــإن الــدين هــو صــورة مــن الــروابط الاجتماعيــة الماديــة ، وهــو يحمــل أي (الــدين) فــي طياتــه عوامــل التخلــف متشــابكة حــول الإنســان لتقييــده بالأفكــار الغيبيــة والميتافيزيقيـة ، ليبقـى أسـيراً لغيـاب العقـل والمنطـق وآلـةً طيعـةً بيــد تجــار هــذه المــادة أي الــدين ، ولقــد كــان انتمــاء الغريــب لمجتمـعٍ متنـوع سـبب تحـرره مـن التعصـب والانقيـاد لأفكـارٍ غيبيـة وسـبب تميـزه بـالمنطق والفهـم العميـق لكـل شـخصٍ فينـا ، ناهيـك عـن خوفـه مـن أي صـنف مثلـه لأبـوين أحـدهما مشـرقي المولـد والهويــة والآخــر غربــي المولــد والهويــة ســيجعله موضــع الــلا تصـنيف مـن الطـرفين، لـذا فضـلَّ ضـد المتعصـبين باسـم الـدين ، و هـم لا علاقـة لهـم بقدسـية وأخـلاق الـدين ومبـررات وجـوده فـي الحيــاة البشــرية ، وابتعــد عــن المتعصــبين كــي لا يقــع ضــحية

رفضٍ بسبب تصنيفه في اللا تصنيف، بالرغم من أنه دائماً ما كان يردد عبارة ((أحب الملتزم بأخلاق دينه، وأبغض المتزمت))وهذا ما كان سبباً في كونه الأفضل فينا علمياً والأكثر منطقيةً وصوابيةً وإنسانيةً على الدوام.

أحمد محمد إبراهيم

قصة رقم 3: قصر حسن الشهيد

لم أكن أظنُّ أنَّك ستكون ذات يوم مجرد ذكرى- (لكن بعض الذكريات ، تدخل حرم الخلود)- وأنَّ الكلمات فقط هيَّ من سيحضر بغيابك ، صحيح أن الكتاب المقدس يقول في البدء كانت الكلمة، والقرءان الكريم يقول :

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ولكن الفقد ليس كلمةً عاديةً والأمر به كان قضاءاً إلهياً وقدراً ربانياً صدر بتكريمه كشهيد.

كان حسن شهيد يتيم الأب ، عاش حياةً مليئةً بالبساطة والغموض ، ولعلَّ مختصر حياته يكمن بالجملة التي كتبها حسن ياسين قبل اختطافه من العصابات الإرهابية المسلَّحة (للقدر قضاء عجيب، فما تفعله ذات يوم سيعود بعد أن تنسى أنك فعلته).

بالرغم من أنه لم يكن متعلماً ، ومن أنه عاش فقيراً، وضحية انفصالٍ بين والديه ، و قد عاش عمراً كالمشرد بين أمه وأبيه، و رغم قسوةٍ لا تحتمل تلقاها من زوجة أبيه و زوج أمه ، ولكنه استطاع أن ينتصر على الظروف ، وأخطر تلك الظروف وفاة أبيه المفاجأة ،التي عانى منها لبقية حياته ، إلا أنه تمكن من أن يبقى نظيف القلب من الأحقاد وترك أثراً طيباً وكبيراً في

قلوب الكثير من المحتاجين،لأنهم كانوا على الدوام يتنعمون بخيراته التي أجراها الرحمن لهم على يدي حسن ياسين.

لم يكن حسن أخلاقياً على الدوام ، ومع ذلك استشهد دفاعاً عن كلمة حقٍ آمن بها ، ولم يكن أيضاً متدينا بمعنى الالتزام بعبادات وطقوس محددة لدينٍ ما ، فالعبادة عنده كانت أيَّ سلوكٍ يدفع الشقاء عن إنسانٍ ما حتى وإن كان عدواً ، فهو لا يدخل مسجداً ولا كنيسة ومع ذلك تجده في الصفوف الأولى للأعمال الخيرية الكنسية والإسلامية.

بكيتٌ في قبري ، لقد سمعت تأبينَّ صديقي لي، آه صحيح ، نسيتُ أن أخبركم أني الشاب الذي دُفنَّ منذٌ قليل ، ولكني أسمع كل شيء ، بالمناسبة أغلب الأديان تؤمن أن الميت يسمع ، وأن أسمع وأرى لأني شهيد والشهيد لا يموت.

تذكرت كم عانيت ، كم نمت في الطرقات الباردة ، كم اضطهدتني زوج أبي، كيف توفي أبي و أنا بعيد عنه ، كيف لم يسأل عني في أشهر عمره الأخيرة ، كم مرةٍ سجنت لأني لم أخبرهم ، أين بيتي؟ كنت بنظر الشرطة كالكلاب الضالة خطر على الناس ، دموعي ملأت وجهي، أنا الآن بلا حولٍ و لا قوة، و أرجو من الله الرحمة والمغفرة.

وبدأ وجه جميل يهبط من السماء ليقابل روحي في منتصف الطريق ، كان النور باهراً لدرجةٍ جعلتني أفقد بصر روحي

عدة دقائق، وعقدت محكمة في سماءٍ لا رقم لها ، على اعتبار أنَّ السماوات سبعة.

وبدأ ملاكان يختصمان، من منهما سيبدأ بالحديث عن حسن شهيد.

ولكن رحمة الله بدأت بالمحبة وطلبت من الدفاع البدء بالكلام ، قال ملاك الرحمة: حسن ياسين ولد في بيتٍ طبيعي ثم انفصل والده ، فأكمل حياته بلا أبٍ ، وكافح كثيراً ليستطيع تأمين لقمة عيشه ، لم يكن متميزاً بشيءٍ محدد ومع ذلك كان المفضل لدى أمه، ربما لقسوة أخيه التوءَم ولعناد وعقوق أخته الكبرى، كان يحب الله ويعبده ولكنه يرفض الهوية الدينية ، ربما لأنه قال الشرك بالله أن تنتمي لشيء غير المحبة ، فا الله محبة ، والأديان لم تكن برأيه سوى أنماط اجتماعية لها من طابع الميراث أكثر مما لها من طابع العبادة ،أما لمحبته وعطفه على الفقراء وسلوكه الجيد في المرات القليلة التي أحسن التصرف فيها أيادٍ بيضاء كبيرة وعلى الرغم من قلتها ،إلا أنَّها غيرَّت حياة الكثيرين من الناس ليكونوا أفضل.

قال ملاك العذاب : لكنه كان بلا هوية، لم يكن على طريقة ، كان كل شيء ، كنت أجده في الكنيست والكنيسة والمسجد، بل أكثر كنت أراه يقرأ التوراة والإنجيل والقرآن ، وبالرغم من ذلك كان ينظر بريبةٍ وازدراء لرجال الدين من كل المشارب.

أما ملاك النوايا قال: حيرني حسن ياسين ، فقد كان يحاول الظهور بشكلٍ سيء، ولكن أفعاله كانت أفعال قديس، دخل الخمارات والمواخير وجربَّ كل حياة المنكرات، ومع ذلك كان قلبه أطهر من كل الدناسات.

ثم قال ملاك الرحمة: لم يكن يحكم على أحد ،كان يقول الله هو الحاكم وهو الراحم، ولربما جربَّ ما جرب حتى لا ينظر لهؤلاء الخطاة بعين الاحتقار،وارتفعت الأصوات التي تحولت غوغاء لا يفهم منها شيئاً..

وصدر صوت الرحيم: المؤمن خُلق ليكون بلسما للجميع، وهل للمحبة هوية ، وهل لي هوية؟ الهوية جحر يختفي فيه المنتمون للأرض وأنتم في السماء هويتكم المحبة والمحبة بلا هوية، الهوية تعصب لشيءٍ صغير أمام أكبر شيءٍ خلقته (الإنسانية الحقَّة)، ألم يقل حسن عني ، حاكم وراحم! حكمت ورحمت وأدخلتك قصراً في الجنة باسم حسن الشهيد.

القصة رقم 4: قصة خلف الهذيان

هـدوء قاتـل فـي الخـارج ، أتنـاول المهـدئات لأتعـايش معـه، أيـن الأصوات ؟

أيـن الحيـاة؟ ربمـا أعـيش حلمـاً ، لكـن شـيئاً مـا لـيس علـى مـا يـرام، يخيـل إلـي مـن ظلمـة المكـان أنـي فـي صـندوق ، هـا هـا أسـترق السـمع قلـيلاً ، وأتحسـس صـوت رجـل، يستفسـر عـن حـالتي ، واسمي، وعملي ، وعنواني؟

أرتعـد خوفـاً ، ويتصـبب العـرق منـي ، أريـد أن أفـتح عينـي لأرى نـوراً مـا فأنـا عاشـق النـور ، أريـد أن أطلـق لسـاني بالشـتائم والسـباب بـأي شـيءٍ حتـى أثبـت للعـالم أنـي موجـود ، لكـن لا جدوى ، وكأن يداً تمسك لساني.

الكـون يقـف و بـدأت أتأكـد مـن أنـي أسـير فـي صـندوق خشـبي، ربمـا أنـي ميـت و نعشـي يمشـي بـي، يخيـل لـي أصـوات تتـدافع مـن مـذياع ، و مكبـرات تقـول: ابتعـدوا عـن التجمـع ، اهتمـوا بسـلامتكم ، نبـأ آخـر الصـين تغلـق حـدودها، وآخـر إيطاليـا تجثـو علـى ركبتيهـا لصـلاة الخـلاص مـن محنـة، والولايـات المتحـدة الأمريكيـة غارقـة فـي عزلتهـا ، رباه هل هـي حـرب عالميـة ؟ لكـن كيـف سـأدرك وأنـا مغمـى ؟ شـيء مـا يتلـبس فمـي و يتمسـك كـالعليق بـأنفي وصـدري و حكـاك يهـرش حنجرتـي ، لا أعـرف ! إن كنـت تعرضـت لآثـار الصـواريخ النوويـة ؟ لكنـي متأكـد مـن أنـي أرتـدي شـيئاً كخرطـوم الفيـل ، ربمـا كانـت قبعـةً تقـي مـن الأشـعة الكيماويـة؟ أشـعر بالخجـل الشـديد و النـدم القـاتم الـذي يجعلنـي أبـدو كبقعـة سـوداء فـي سـريري لمـاذا عملـت طيلـة عمـري بأبحـاثٍ تطـور أسـلحةً فتاكـة، ربمـا قتلـت نفسـي وعـائلتي و

مجتمعي بسعيي الدؤوب لتطوير أسلحة الإعدام الجمعي والجامعي لحضارات وأرواح البشرية، لكني أدرك أن حرارة تتوهج كشمسٍ في وجهي ، إذاً ربما استخدموا المحلول ياء الذي يقتل البشر برفع حرارة رؤوسهم حتى تنفجر أدمغتهم لتخرج من أنوفهم، بعد هنيهة سمعتهم يتحدثون عن ضرورة البقاء في بيوت ، آه ربما عدنا بجهاز العودة للزمن إلى عصر الكهف ؟ فذات مرة شرح البروفيسور وايت أننا ملزمون بإجراء تجارب العودة بالزمن على من يحتجون ضد سياسة البنتاغون ؟ لكننا بلد ديمقراطي! آه لكني أعرف يقيناً أن ديمقراطيتنا هي الخيار بين السيء والأسوأ، لأني سمعت من قال صراحةً من كبار مسئولينا، لن نحكم العالم بهراء التنظير للإنسانية والديمقراطية إلا عبر الإعلام ومن خلال الشاشات لنخدع بلهاء الشعوب بسياستنا الإعلامية سيكولوجيا، ولكن ستبقى ايدولوجيا الموت للعالم والبقاء للأقوى صميم سياستنا في العالم.

إذاً ، وقع ما خشيته ، صدام صيني و أميركي ، واستخدام لأسلحة الفتك من جميع الأنواع ،والكل يحبس أنفاسه وينتظر من سينتهي أولاً، إنها حرب فناء .

لم تطل تأويلاتي حتى سمعت باسم الفتاك القاتل (كوفيد19) أو ربما سمعت كارونا أو كورونا ، بهذا الشكل ربما أصبحت واثقاً أنه سلاح دولة تنطق الإنكليزية، رباه أتكون المملكة المتحدة تخطتنا في إنتاج أسلحة الدمار الشامل، ربما يكون سلاحاً من إنتاج سلاج الجوي الملكي فقد سمعت كلمة تاج أو كورونا .

لا شيء إلا الفراغ.

أنا لا أرى لكني أسمع ، مع ذلك تنتعش الحياة و يدب الربيع و تتخفف الأرض من أعباء التلوث ، وتلبس أجمل غيماتها ، وتتداعى الحياة البرية لغزو المدن ، و تعود الأرض ببشر عادوا لمساكنهم وانسحبوا ، أتراهم أعادوا للأرض مساحتها الخضر التي أكلتها كتلهم الإسمنتية..

بعد أشياء عدة اتضح لي ، أني في مغامرة هستيرية ، فكل شيءٍ حولي رطب ، ويزحف نحوي ليحاصرني ، كانت الجدران الأربع تتقارب و السقف لأول مرة أكون تحت سقفٍ إسمنتي تتحاور حولي ، وتحبسني و يصغر صندوق حركتي وحياتي إلى أدنى من صندوق خشبي، تقيأت أحشائي أو هكذا خيل إلي ، من قرف البقاء لأكثر من ثمانٍ وأربعين ساعة في نفس المكان ، فنحن نعلم أن حرباً خفية بين الأمم قائمة على قتل العقول مهما صغر اختصاصها إن أبدعت، إذاً أنا ميت ، فعمري الماضي ، أو لنقل منذ نبغت بالكيمياء في عمر العشر سنين ، وتولى أمري عملاء فيدراليون في تكساس ، وأنا أحفظ قاعدة تغيير المكان كل ثمان وأربعين ساعة ، ومن خلال هذه القاعدة لم أبلغ الأربعين حتى زرت كثيراً من دول العالم، لكني كنت أكره الغرف المغلقة ، ولا أستطيع الإيمان بفكرة أأن يهجر الإنسان الطبيعة ليعيش في كتلة إسمنتية قد تهبط عليه في أي لحظة.

فجاءةً ، يقول الطبيب : لن أستطيع رؤيته مرةً أخرى، فالحظر الكلي قد يعلن في أي لحظة ، فالفيروس فيروس التباعد الاجتماعي أو لنقل فيروس الفرصة لإعادة الحياة إلى طبيعتها الأولى يكاد يهدد العالم برمته..

تصرخ أمي ، لكنه مصاب برهاب الخوف من الأماكن المغلقة، بل أنه طيلة حياته كان ينام تحت غرفة بلا سقف في الصيف ، وبغرفٍ زجاجية السطوح وبإضاءاتٍ مختلفة الألوان حتى لا يعيش ظلمةً ولا اكتئاب ، أتمنى لو بإمكاني أن أصفعها حتى لا تترجى أحداً لأجلي ، لكنها الحرب البيولوجية ، لا تبقي و لا تذر.

واستمر الصوت صوت أمي و بكاءها و حديث أمي يمخر كالسفينة أعماقي و يحرض لساني على النطق وعيوني على أن تشهد ولو لآخر مرة مراسم دفني..

كان أبي يقاتل ليصل إلي لكنهم منعوه ، لا بد أنهم الأعداء، تمنيت لو أصاب بطرشٍ حتى لا أسحق تحت وطأة دموع أمي وأبي وحبيبتي ، فالصوت الوحيد المتكرر لا تقتربوا من الموت، إن ابنكم يحمل في دمه عدوى الموت ، حينها تذكرت العرافة البرازيلية السمراء في لون وجهها والأرجوانية في لون شعرها ، خضراء العيون نظرت لي وقالت ستقتل كل من يحبك ذات يوم ، أنت رسول الموت يا ولدي ، ورفضت أن تلمسني ، و تذكرت أيضاً أحد أصدقائي المسلمين الذي قال لي: يا رجل وكأنك سامري موسى ، لا تقلق عهد النبوات ذهب وأخذ معه المعجزات، مع ذلك كنت لا أحيا ولا أموت !

أصعب عذابٍ أن تعذب أو تسبب كارثةً لمن تتمنى أن تموت ألف ميتة لأجلهم ، استيقظت و عادت الحياة رأيت نفسي أتعايش مع فكرة السقف الإسمنتي ، لكني مقيد إلى سريري وأحاول أن أفر مت تحت هذا القفص الصناعي لكن بلا جدوى.

فـي الصـباح كـان الجميـع ينظـرون لـي مـن خلـف زجـاج فاصـل، وتبدو عليهم نظرات لا تفسر ، أهم وأعداء أم ماذا؟

أخيراً قلت لهم : هل انتهت الحرب البيولوجية؟

تبسـم الطبيـب : لا حـرب ، إنهـا حـرب الإلـه علـى مـن يـرون خـوفهم مـن الفيـروس الـذي لا يـرى أهـم مـن خـوفهم مـن الله بـدعوى أن الكـون مـادة ، وان المنطـق يقـول يجـب أن نـؤمن بمـا نـرى ، لكـن الفيـروس لا يـرى ، وهـا نحـن ملزمـون بالإيمـان بـه والاحتياط منه؟

لـك خبـران عنـدي ، الأول كنـت محمومـاً خـلال أسـبوعين ، وقـد نجـوت مـن فيـروس يسـمى كورونـا، والثـاني : كـل مـن كـان مـن أسـرتك و لامسـك قـد يمـوت أو يحيـى ! الأمـر بيـد الله لـيس بيـد الطب حيلة.

لكنـي اعتقـد أنـه هـذيان ، خـتم الطبيـب : مـا يجـري خلـف الهـذيان بعالمـك هـو فـوق القـدرة والعلـم فـي عالمنـا ، إنهـا حقيقـة بـؤس البشـرية حـين تتنـازل عـن قـيم الله فـي أرض تتسـع لجميـع مخلوقاتـه بعيـداً عـن تمـايزٍ لأقـوى أو إبـادةٍ لأضـعف، فلتسـقط نظرية البقاء للأقوى ليبقى عالمنا أفضل.

القصة رقم 5: الأعمى

يصادف اليوم الحادي عشر من آذار ، وقد صادف أن رأيت في حلمي وفاة أختي، أخبرت الكاهن عبر هاتفٍ قصير بما رأيت فقد تعودت على تفسيراته التي غالباً ما صدف وصدقت.

أنا، رأيت في حلمي أني أعمى ، أبونا، ما الجديد فأنت كفيف .

إنه الجديد ، أن أرى أني مبصر ثم عميت ، أبونا : لا تشغل بالك، لعله من أمنيات نفسك.

ولأني لا رجل أحلام تتحقق ، وأؤمن بما أحلم به، بقي الحلم شغلي الشاغل، كنت أرى شيئاً يشبه المعجزة في حلمي لكن لا جدوى فإن أحداً لاغ يملك تأويلاً لشعوري.

طيلة حياتي كنت كفيفاً عفيفاً لنقص في قدرتي على التعايش مع فكرة الزواج بامرأة لا أراها ، و كفيفاً لأن لعنة أبي رحلت في رحم أمي ، فخرجت مجنياً علي أو كما قال أبو العلاء المعري : (هذا ما جناه أبي عليَ ولم أجني على أحدٍ)، أما عن خجلي فحدث ولا حرج ، رأيت في سنوات دراستي الهول بل أبي الهول شخصياً ، فكنت أخرج مع أختي التي درست نفس دراستي في كلية الإعلام _قسم الصحافة ، و بدأت اعتمد عليها كلياً في خطواتي وطعامي وشرابي كانت مدى بصري الذي فقدته، و تعودت حياة الظل أو الرجل الشبح ، فكانت تقدمني بالاتفاق معي لصديقاتها على أني كفيف و أبكم ، وبدأت الصبايا يتحادثن في كل شيءٍ بحضور اللا حضور الذي مثلته شخصيتي، ومع تفوقي لتعويض النقص الذي وسم شخصيتي ، بدأت دائرة المعارف تزداد اتساعا من حولي

ولكنها منفصلة عني بالشخص متصلة بي عن طريق مدى التي كانت جسر له طرفان من جهتي لا يوجد إلا هي ومن جهة الأخرى عالم آخر لا يعنيني منه شيء، إذاً أصبحت ميتاً من الناحية الاجتماعية ، بل أكثر من ذلك بت أرى في البشر مصدر إزعاجٍ لا يحتمل، لم أعرف إلا أختي طوال عمري ، و حين أصبحت شاباً وجدت عملاً لا يتطلب مني ألا العمل على كتابة مقالاتٍ صحفيةٍ في جريدةٍ أسستها أختي ، وهكذا كانت حلقة حياتي الناقصة قد اكتملت ، نوم وطعام وشراب وعمل على مقالات ذاع صيتي كناقدٍ محترف ورفضت كل المقابلات ، أبونا كان قد علمني عيش الزهد والتنسك ، فكنت لا أشبع النوم ولا الطعام ، لأني أريد عيش مسيحيةٍ خاصة آمنت أنها خلقت لي وكم داعبني وصف أبونا لي بذي الهمة العظمى.

كبرت و كبرت و شخت وأنا أرى فطامي عن أختي يزداد استحالةً كل يوم، وأدركت يقيناً أني كنت سبب بقائها عازبة ، و لم أتردد ذات مرة من إخبار أحد من طلبها مني ، من أنها مرتبطة ولديها شريك حتى أبعده عنها .

في يوم الخامس عشر من آذار ، جاءت مدى وأخبرتني بما سمعت عنه دون أن ألقي بالاً له ،،، فيروس ينتشر انتشار النار في الهشيم ، يهدد البشرية ويسمى بالكورونا، ضحكت : مدى : والمطلوب مني؟ أغسل يديك وتغذى جيدا، وراحت تضع لي علباً مختلفة من المنظفات و الكحول و غير ذلك من أجهزة قياس الحرارة، وكان التزامها بالموضوع يكاد يشبه شكها بوجود إله ، فقلت لها: مدى ، عجباً ! أتخافين الفيروس وتتقيه و لا تخافي الله أو تؤمني بوجوده ؟ كيف خفتي الفيروس وآمنتي بوجوده ولم تخافي الله؟

لقد قلتي أنك لا تؤمني إلا بما يراه قلبك ، فكيف رأى فيروسا ولم يرى إلهاً، على فكرة كان موضوعاً خلافياً على الدوام بيننا، وكان بيتنا أشبه بحزبٍ نصفه ما ورائي الرؤى ونصفه ماركسي ، ومع ذلك أغنانا الموضوع علماً وحباً ودفئاً، وكعادتي أخذت الأمر بسخف ، فإرادة المسيح أقوى وهي احتاطت وقالت : إرادة العلم أقوى .

جاء يوم العشرون من آذار طبق الحظر كلياً لم أعد أرى أختي، لكني لم أعرف السبب ، وبالرغم من سماعي الكثير عن وفيات كورونا ، لكنني كنت متأكداً أن المرض مادام يتعلق بالنظافة ، فلن تصاب به أختي، بل كنت أخشى أن أصاب به لشدة إهمالي ، فقد اعتدت على شغالة تقدم لي كل خدمةٍ أحتاجها ، وانقطعت عني أختي والخادمة ، ورحت أبحث بحثاً مضنٍ عن الهاتف و كم عاركت ظلمة قلبي ، كان أختي تقول لي بأني كالنقطة التي تحب أن تقع في الآخر لتثبت الفاصل بين جملتين أو لتكون نهاية شيء ما، بالفعل أنا الآن نقطة أقع في أطراف الحياة ، ولا أحد يهتم لحالي ، لا الشغالة تسأل عني ولا أختي ، ورحت أتساءل بعد نفاذ مؤونتي كيف سأعيش ، وأنا لم أخرج من البيت منذ سنوات بعد دراستي الجامعية، ولا أعرف أحداً، بل كثيرون يرونني شبح يقطن في بيت متطرف عن كل الدنيا ورحت أبحث، ارتميت فوق شيءٍ مسطح مسدته بيدي ، ما هو؟ أووه ربما طاولة ، ها أمسكت شيئاً لعله الهاتف ، لكنه أطول من هاتف ، إذاً ما هو ؟ تناولته بعنفٍ يخنق خوفي من فكرة أن أموت من الجوع، لكن يدي بدأت تقطر دماً، يا لها من سكين ، هل أعود بربرياً وأتناول دمي لأحيا ساعاتٍ عدة ، لكن لم أكن بعد قد فقدت كل الأمل ، و

بدأت بحثاً جديداً عن الدواء و الهاتف ، تلمست الحيطان كنت لأول مرة أعرف شكل الحيطان وأنها أربعة في كل غرفة، وكان في كل حائط شيء يبدو كتلة إسمنت عريضة ، اكتشفتها لتوي ، بدأت أتعرف معنى أن اليوم أربع وعشرين ساعة حين صار الوقت كله فوضى بحثٍ محموم عن مخرج من عزلتي ، كيف سأجد نفسي دون أختي ، لكنها ستأتي و محال أن يطول تغيبها ، لعلني أهذي أم أصبت بهذا اللعين القاتل كورونا، على كل حال ربما يمنعها الحظر لكنها ستأتي

استيقظت في اليوم التالي ، ما بي ؟ هناك دم رائحته تملأ أنفي، تحسست يدي، هناك لزوجة تقتل ، لا بد أني أحلم، لكني لا أذكر يوماً أني نسيت ما أرى في منامي ، لعله كان عالمي الوحيد الذي صدق معي طيلة حياتي ولم يخذلني، وعدت أبحث عن الهاتف ، وبدأت أتحسس شيئاً جديداً هذه المرة ، أنه مربع مرتبط بالحائط وفي أسفله كومة مربعة الهيئة أدرت الزر ففحت كالأفعى ، رباه ، هل هذه الغسالة التي لم ألمسها يوماً ، و تابعت و أدرت مفتاحاً جديدا فالتهبت يدي وعرفت أنه الغاز، وبعد ساعات تمكنت من إعادته ميتاً كما أحييته و ذكيته بالنار و العمى، و بقيت الحال على ما هي عليه و تعرفت خلال الأيام الثلاث من الحظر الكلي على زوايا البيت ، وبت أرى البيت بقلبي كشيءٍ له قدسية الحج ، ووقف الزمان على أعتاب الرب، جاءتني أختي فتحت الباب و كم هلعت، قالت لي لا تقربني أصبت بكورونا ، ووصفت لي برفقة أطباء ضرورة أن أجري فحص الكورونا ، أجريته، كنت بخيرٍ مع أني لم أستخدم أي شيءٍ لأتوقاه، وقلت لها أخيه : أين الشغالة؟ قالت قتلها الكورونا ، ونظرت بقلبي المكسور ونظرت بفرحها المتسلق

درجات الخوف علي ، أنت بخير يا أخي ، سيتكفل بك أبونا ، وضمني أبونا ، وقال : ستشفى مدى ، سنصلي لها .

أنا الآن أعمى لا لا لا أرى سوى قبضات الحياة تنتشلني وجدران البيت تعانقني لأكون آخراً كما قالت مدى لأكون النقطة في كل ما يحصل.

أحمد محمد إبراهيم

قصة رقم 6: لكنها لا تخسر

كان دائماً بلا هوية ، وكانت دائماً بلا اسم .

هو يبحث عن هويته، وهي تبحثُ عن اسمها، وشاء القدر والتقيا.

نفسيتان تملأهما الهشاشة واللهاث خلف الشهوة والرغبة ، هي تبحث عن إرضاء الجسد ، وهو يبحث عن إثبات الذات .

كل واحد منهما يملك ما يحتاجه الآخر،على الأقل نظرياً!

جمالها أخاذ وعيناها الذئبيتان و بحثها الصامت ، كل شيء فيها يبدو لطيفاً ، و كأنك أمام نصب تذكاري حفر وصمم بعناية فائقة ، و كأن أمم الأرض اشتركوا بتمويههِ.

هي لم تعرف بعد طلاقها الأول والأخير ، معنى للخسارة، كانت تحمل غشاء البكارة ، كأعنف إثباتٍ على طهارتها وشرفها ، خسرته وقبلاً لم يكن للشرف عندها إلا غشاءً رقيق يزعجها ويخالفها أكثر مما يرضي حقيقتها ويسعدها .

أما هو كان كالسلةٌ الفارغةٌ ، لا أهمية لها ، وإن امتلأت فما يلقى فيها من الخارج، ليس إلا نفايات، ولم يكن يحوي بداخله شيئاً يخصه، لم تكن لديه هوية، شاءت الأنامل الإلهية التي تجسدت بشراً ، واستجابت لدعائه أن تعطيه هوية ، لطالما حلم بها،وتعرف على زير للنساء.

زير في تعدد العلاقات ،في استباحة المحرمات والمحفوظات،

ما من جميلات لم يكن كازنوفا هذا الملم بكل أساليب الإغواء، إلا وتذوقهنَّ ، كما كان يروي.

كان حريصاً على أن يضع بصمة المعلم في قلب وعيون تلاميذه .

كل من أرادهنَّ حصل عليهنَّ، ليس لجماله ، ولا لحيلة إنهن خائنات ولو عبدوك فأحذرهنّ يا قارئي.

وللإنصاف قلة من تمنعن لرغبةٍ ملحة بعلاقةٍ عابرة وكره بشخص المعلم ، وانطلق تلميذنا يرسم هويته، يصول ويجول في المكاتب العقارية التابعة للوزارة ذكر وحيد وعشرات الإناث ،كالطير على أغصان الشجرة كل أغصانها محط لقدميه وموئل لنومه وأمان لعينيه.

أما هي فكم كانت بلا شيء ليسترها ، وبلا شيء لتخسره، رهيبة هذه الفاتنة! لا شيء عندها لتخسره .

هل السترة إلا الحفاظ على ما نخشى أن نخسره؟

إلهامهما الشهوة والوفاء عندهما الفضيحة ، وعبادة الجنس في صمت صلاتهما وقول الكذب والبهتان صيامهما.

والحج عندهما ، اصطياد الناس.

تلاقيا وهو حصل على هويته الضائعة على جسدها، وهي حصلت على اسمها الضائع في تصرفاته .

كلُ براعته في ممارسة الجنس والاحتيال وغيرته وثرثرته وكذبه اسمها !

وكل ما تملكه من اللا قيم واللا شرف واللا خسارة هويته!

النصر عندها دائم ومحتم ، فلا خسارة لديها.

والشرف شيء يتعلق بمتعة جسدها السرية والخفية عن أعين الناس ، ولكن عين الله ترى .

هو تعلم بعد أن مارس الزنا أعواماً عدة معها ومع غيرها ، الطيران بعيداً عن جسدها ولكن لم يأنس لسواها فهي لا تغار لرؤيته مع سواها ، و إن كان يخونها في سرير نامت عليه معه بليلة سبقتْ ، لا تخالفه ولا تزعجه ترتجف كل ما رأته ظن الصبي أنه الحب ، وكأن الساقطات يحببنْ!

وهي رضيت بما حصلت عليه ، وهو لم يزل يفتش في الأجساد عن هويته ، لعله يجدها ذات مرَّة .

تحولت عادة البحث عنها إلى مهنة، وأصبحت المهنة هويته،فمن أكثر من شيء عرف به

وهي نسبتِ إليه في العمل ، فصار لها اسم ، لطالما حلمت ولا زالت .

مفقودٌ اسمها لأنها تخفي طبيعة العلاقة به عن أعين الناس، لكنها و بحكم إرضاء غريزتها ، قبلت باسمها السري ،وطربت به واستأنست إليه .

خلعت الضرورة الباب، باب الوفاق بين رذيلتين ، وأدخلت الآخر بينهما .

شاب باسم وهوية ، وهيبة وحضور وسرورٍ دائم وحبور كبير،

وثقافة واسعة وكلام كثير .

قبيل أن تخلع الضرورة الباب بينها وبين اسمها ، كان الملل قد تسلل من نوافذ علاقتهما فتركها هو، بعد أن حصل على هوية، وإن كانت هوية بالعادة لا بالحقيقة والأصول .

أما هي فقدت مرَّة أخرى اسمها ، وإن بقى جسدها على الطلب، كلما اجتاحته الغريزة والأشواق لجسدها .

فقد رأت بالشاب الجديد ، صيداً وطعماً ورغبةً وهيبةً وجنساً وانتقاماً من اسمها القديم ، لكنها لا تخسر .

لعبت بين الطرفين بين اسمها القديم وهويتها، والطارئ الجديد الشاب .

تحادث الشاب الجديد وتناقشه وتخرج معه، تلمح إليه وتقوده بعينيها وجسدها ، والشاب الجديد غارقٌ في حبٍ عزيز.

فوق ما تفكر فيه .

هنا وجدت أنها وصلت لمن تقرن هويتها باسمه،ولاسيما بالزواج فتصبح سميته، وبالوقت ذاته تحادث الاسم الجديد، والقديم تخرج معه وتنام معه، فقد عاد إليها مكرها بدافع الغريزة ، غريزة الامتلاك لها .

بدأ الكره يتسلل إلى قلبه منها ومن شابها الجديد ، أخفت بزيفها وغدرها علاقة الاسم القديم بالطارئ الجديد ، وبدأ صراع ينشب بين ماضيها ومستقبلها، طلب الطارئ الجديد منها الاختيار بينهما ؟

لكنها لم تختر معتمدة على قناعتها في قدرتها على قلب الطارئ الجديد، ورغبة جسدها للاسم القديم .

واستمرت تمارس لعبة إغواء الاثنين معاً.

لعبة دعوة الذئب والحمل إلى وليمة ، لعبة التفاحة - تفاحة أدم.

تركها واعتزلها الطارئ الجديد ، والتمس الاسم القديم عودتها، ولكنها استمرت تضغط بنظرتها الساحرة ومواقفها اللطيفة حتى عاد الطارئ الجديد، ظنت بعودته، أن الزواج صار قريباً تخيلت أن الطارئ الجديد عاد بإرادته ، لم تعرف أن كرمه و عطفه وحبه ضغطوا مجتمعين عليه للعودة إليها، لأنهم أشفقوا على ضعفها وانكسارها وذلها .

عاد واحتدم الصراع بين الاسم القديم والطارئ الجديد ، ودخل عنصر آخر، فكان للطارئ الجديد موقفه النهائي .

جاءت البراءة والسذاجة صادقة واضحة كأنوار الشمس لتخبره ، أنها هوية ذلك الاسم وعاهرته الملاصقة ومحظيته التي يختلي بها كلما انقطع من النساء.

اخبر الاسم القديم بما يعرف ، وقال له : عاهرتك لا يمكن أن تكون حبيبتي ، أنكر الاسم القديم هويته ، فرد الطارئ الجديد .

تحت أقدامي الاسم والهوية .

وصلها الخبر ، وبقيت تحادث الطارئ الجديد وكأنها لم تسمع ما نقل الاسم القديم لها من حديثهما ، فليس لديها ما تخسره.

تركها الطارئ الجديد ، واستغنى عنها الاسم القديم، لأن هويته الساقطة وجدت في الكثيرات من الزانيات .

هويات أجمل وأكثر تجديداً أمامه .

حُوْصرت و وقعت ، ولكنها لا تتكلم ولا تتحدث عن خسائرها ، فهي لا تملك ما تَخْسَرُه.

واجهها الطارئ الجديد .

خنتي ؟

ردت : ما الخيانة !

أجاب : تحبيني ، وهو عشيقك ؟

وما أدراك ؟ (ردت)

رد : هو ، فاستطردت قائلةً : فلمَ تحاسبني ؟

أجاب : معكِ حق، لا يحق لي أن أحاسب .

صدر صوت عذب و واضح سائلاً .

مَنْ أنتَ أيها الاسم القديم ؟

عاد الصوت بقوة أكبر ، رد : أنا الخيانة .

وتابع كلامه : ومَنْ أنتِ أيتها الهوية ؟

قالت : أنا المرأة .

ومَنْ أنتَ أيها الطارئ الجديد ؟

رد: الرجل حينما يعشق فيصبح بلا عقل وبلا فهم .

فقال الصوت : أما الهوية فلا تخسر ، و أما الاسم فلا يمكن أن يستمر أو يربح ، وأما الطارئ الجديد ، فسيعود رجلاً أكثر.

فصرخ الطارئ الجديد حقاً .

وقـال الطـارئ الجديـد و الاسـم القـديم بصـوتٍ واحـدٍ : ولكنهـا لا تخسر ، ولكنها لا تخسر.

فقـــال الصـــوت : ستخســـر ، عنـــدما تصـــبح أداة لا زوج ولا أولاد ولا أب ولا أم ، سيكون العهر تركتها ونصيبها وذلها وفضيلتها التي ستستمر أبد الآبدين .

أحمد محمد إبراهيم

قصة رقم 7: بلا هوية

إنها الساعة تشير لوقت لا يسعنا ككائنين اثنين معاً في حوارٍ يصدر عنَّا من فم شخصٍ واحدٍ يحتوينا، كانت تلك كلمته التي عجلت حواراً حامي الوطيس بين عالمي الداخلي وشقيقه الخارجي والقصة وكاتبها ، فاضطررت للصمت بين زملائي كي لا يفضحني انقسامي الداخلي بينَّ العالمين الشقيقين.

ودار الحوار وارتفع صوته فأخرس كل كياني.

العالم الداخلي: لماذا تستورد من عالمك المحيط المآسي؟

العالم الخارجي: لأني مفطور على حب الاجتماع ، فالإنسان كائن اجتماعي بطبيعته.

لم أهزم وسأبقى ملتزماً الصمت والحياد، تأملَّ العالم الخارجي وقال كلمته:

(لا تقل:لم أهزم مستخدما صيغة الزمن الماضي لتسمعني رأيكَ، أرني موقفكَ بعينيَّ الزمن الحاضر باستخدامك لن على مرآي).

كانت القصة على خير ما يرام ولكن حوارهما الذي قسمني لأنصافٍ متعددة بدلَّ نصفين، جعلها تتحرك كعُصارةٍ هاضمة لتفتتني بفضولها النَّهِم، فسألت : لما أسميتني بلا هوية؟

كنت أتحسبٌ من إجابتي على سؤالها المزروع كلغمٍ أرضي في فضاء أفكاري، أجبتها بعد صمتٍ رشيق لجهة قصر زمنه

وسرعة حركته وتنقيبه لآبار فكري، اسمي: أحمد على اسم جدي لأبي وجدي سميَّ باسم جده ، وليست المشكلة في الأسماء ، ولكننا بتنَّا حقيقةً تتكرر ، هناك صراع يشبُّ بين الأسماء والأفعال في لغتنا يا عزيزتي !

قالت القصة: لم أفهم شيء.

تدخلَّ العالم الداخلي وأجابها: هناك انتماء ويكون لمكان وزمان وأفكار نكونها وتبقى معنا ما بقينا على قيد الحياة، وهناك هوية تتشكل بفعل الانتماء المتكِّون وراثياً لدى أغلب البشر المكرريّن عبر ثقافة أجدادهم منذ آلاف السنين ، وبتلاقح الانتماء والهوية ننسج وجودنا الاجتماعي خارجياً والنفسي داخلياً، ثم نقترن ونلتقي عبر الحياة بكثيرين يختلفون عنا في الكثير من خصوصياتهم المتعلقة بالهوية والانتماء ونندمج ونتعايش بتقبل الخلاف وتعزيز المشترك.

ردَّ العالم الخارجي : هذه المرة أنا لم أفهم .

فقال الكاتب المسكين وقد تضورت أمعاء دماغه جوعاً للقراءة: غيابك عن الوعي لا يعني أن الحقيقة مفقودة.

لقد أسميّتُكِ بلا هوية ، لأن هوية الإنسان العلم والعلم لا يعترف إلا بالأفعال المؤكدة بالتجربة والمتفقة مع العقل والمؤيَّدة بالعلم، لم أشأ أن أكون نسخةً لجدي الخامس والخمسين ، أردتُ أن أكون مختلفاً.

لكن شذوذَّك عن المجتمع خطأ ، أرجوك غير عنوان القصة وسمِّها ما شئت إلا هذا الاسم، وصمت العالم الخارجي منتظراً رد الكاتب.

رد الكاتب : الخطأ المثمر يعني أن تتعلم بالتجربة ، ولكن تكرار أخطاء من سبقك تكراراً وراثياً أحمقاً ومتعمداً سيحول أخطاءكَ لخطيئةٍ تتبرعم من أشجار الشيطان ذاته.

تدخلت القصة وقالت : أخي المثل القديم لديه ما يروى على شكل قصة وقد استعان بي ، فأنصتَ الجميع.

قال المثل: زرع فلاح عوداً ضخماً في أرضٍ سهلية وفيرة الخير والماء ، وبقيَّ يعتني بالعود الأخضر الذي أورقَّ أوراقاً مختلفة وطال زمن إزهاره وإثماره، والناس تتحدث عن النبات الغريب ، بل كادوا أن يقتلعوه ذات يوم، لولا وجود الفلاح ومجابهته لهم.

استمرت الأيام وأثمر وكان ثمره غريباً ومميزاً ، وبدأت الأصوات تتعالى من الشجر والحجر والبشر باقتلاع الشجرة الخبيثة التي كانت قبل عامين عوداً بسيطا واستمر إيمان الفلاح بغرسته ، وأثمرت بعد أن كثر القيل والقال ، وكان ثمرها غريباً ، وتخوف الناس منها، لأنها بلا هويةٍ وقاطعوها، وبعد عام كان الفلاح يبيع ثمارها ويستطيب الجميع به ، دون أن يعرفوا أنه ثمر الشجرة التي حاربوها لم يؤثر غبائهم في تحديد هويتها وغياب اسم لها أو أي وجه شبه بينها وبين ما

سواها من الشجر على تقبل ثمارها وتذوقها ..فالهوية اسم والاسم يحتاج لأفعالٍ تثير فيه الحياة، وصار الموز عشبة يحب ثمرها كل سكان الأرض قاطبةً بفضل تميز الفلاح وتميز العشبة بهوية اللا هوية.

فالكلام لم يكن إلا أماني واهيَّة والأوهام التي تصوروها لم تكن إلا جهلاً فقيراً بالمعرفة، هويتك أن تعيش بأفعالك المتميزة فقط لا باسم استوردته من أجدادك واعتبرتهٌ هوية.

قال الكاتب : يتقدم الموت وتنتصر الحروب فقط عندما تفقد الإيمان بالله وبأنك خلقت لتتميز.

قال العالم الداخلي: شعاري على الدوام (إيَّاكَ أن تحزن، فقط ابتسم وقل يا الله).

قال العالم الخارجي وقد أذهله الجميع بما في النفس البشرية من أبعادٍ فكريةٍ كبرى، هوية العصا أو تلك الشجرة كانت بما أثمرته ، لا بما قيلَّ عنها.

ردت القصة ممتعضةً بعض الشيء : قبلتٌ اسمي عليَّ أثمر كتلك الشجرة ذات يوم.

ردَّ الكاتب : سأبقى أدافع عنك ، كما فعل الفلاح مع غرسته.

تحيرَّ الجميع من صمت الشخص الحامل لمسرحية الحوار والمجادلة.

فتبسم وأجابهم: (الصمت أسهل لغة مستخدمة وأصعب لغةٍ لا تقبل الترجمة بشكلٍ واحدٍ في العالم).

ردت القصـــة: (الصـــمت الكبيـــر فـــي زمـــن الهـــزائم المتتاليـــة انتصار)

قـــال الكاتـــب: (ليتنـــي أســـتطيع أن أحمـــل أحـــزان جميـــع البشـــر لألقيها في بحر التوكل على رب ربِ العباد).

ورد العالمين الداخلي والخارجي بصوتٍ واحدٍ متحِد :

(الجهد الجماعي يعزز تميز الأفراد والأوطان).

خُتِمَّت الجلسة الهادفة بالتوافق على عنوان المجموعة :

(بلا هوية).

وقالت القصة : ((وافقتٌ فقط لأني أحبكم).

أحمد محمد إبراهيم

قصة رقم 8: سفسطة

العاشق الوله:

في بحثي عنك كنت أبحث ونسيتٌ أنَّ البحث قي الشرق يعني شراء الفضيحة ، كنت فضيحتي أيها القلب لأنني أحببتٌ ولم أتراجع ، كنت خنجراً تمَّ زرعه بين أضلعي كنت أعتقدٌ نبضاتك سعادة واليوم بتٌّ أدركٌ أني كنتٌ أروع بلا قلب .

ورغم هروبي من نبضاتك إلا أنَّ الدماء لا تزال جاريةً وباحثةً في أوجه الجميلات وأعينهنَّ عن وطن يحتوي كل ذرةٍ في كياني، خذلتني أيُّها الحب وزلزلَّتَ كل ثوابتي ومع ذلك لا زلت أفتقدك، فقد تحول بحثي عنك إلى هوية تعريفٍ لكل الأمكنة، نام قلبي الشهيد ولم يستيقظ ، هجرني ولم يخبرني بنيته في الرحيل صوب الديمومة الأبدية، أستذكره كلما ارتصت السماء بمسيرات الضوء وتوجعت النجمات من غربة البعد في العُلا، أتذكر زواريب قريتنا ومغامرات عد النجوم وصيد الأحلام في كبد المعاناة والأمل.

استذكر الكثير منك أيها الحب في كل التفاصيل ، وجملك التي تحولت شعاراً أردده كثيراً ((الورقة التي لا تسقط في فصل الخريف مثل البنت التي لا أغويها ولا تنجذب لي تصبح فاقدة لقدرتها على أن تثمر بالدفء والمحبة)) ولكنك حرَّمت على

جسـدينا التلاقـي والتوحـد وسـميت لقـاء الجسـدين رذيلـة، لمـاذا تقسو بأحكامك علينا؟

آه منك ... تقرر الرحيل ولا تخبر أحداً .

ليت الموت يـأتي وليتـك تسـرع يـا قطـار العمـر فلسـت أطمـع بزائـر ولا كنـت أؤمـن بالعـابر ولطالمـا أحببـت العمـل وكرهـت الخُطـبَّ على المنابر!

أسـرع فقـد طـال العمـر وفهمـت أن حيـاتي بغيابـك بـلا أمـل ، آه لـو بإمكـاني أن أشـتري تلخيصـاً مختصـر، أن أتنـازل عـن بقيـة أيامي، أن أحتضر في حضن أحبتي لفعلت.

الرذيلة مخاطبةً الحب ومدافعةً عن العاشق:

مـا بـال عينيـك؟ تحمـل مظـلات أو كمـا تسـميها نظـارات خشـبية لتحرمنـا مـن رؤيتهـا، فـي الحـي أنـت مـلاك وفـي النـاس لـو لـم أرَ بعينـي لقلـت أشـرف وأطهـر البشـر ، مزمـار الحـي لا يطـرب أعـرف ولكـن لا تعطنـا محاضـرات تربويـة وأنـت صـاحب كـازينو الحرية.

المرأة متوجهةً بنصحها للعاشق:

لا تنـادِ ملَّـت حناجرنـا النـداء ، قـف صـامتاً مـا أروع الصـمت فـي حـرم الغبـاء، لأنـك وإن صـدقت لـن تجـد شخصـاً يسـتحق حبـك أو يكون عند قوة محبتك .

الرذيلة مخاطبةً فلتعلم أيها العاشق:

(سيكون النفاق زورقاً لهرب الصادقين في عالم يَّأنٌ من كثرة المقاتلين وقلة المتنورين) فما عليك سوى أن تغلق الباب فالزمن للداخلين من الشباك .

العاشق الوله مستعطفاً الجميع:

أحببتك يا فراغ ومالت إليك لواعج قلبي وصرت منك كما أنا.

أصبحت لا حلم لي إلا أن أحلم.

استوطن الوجع وتمدمدَّ في مفرداتي ، وباتت الوحدة تقتل كل لحظاتي، أرجوك أيها الحب أشفق عليَّ ، فما عاد في عمري ما يحتمل تأويلاً وتأجيلاً.

الحب وقد لانت مشاعره:

حسناً ، أحبها ولا تلثم شفتيها ، وكن دائماً عوناً لها ، وإن هي اختارت سواك فتمنى لها الخير وأبقى مستعدا لتساعدها.

وزاد الحب من وعظه وأفرط في مثالياتهِ ، فانتشرت الرذيلة بفضل تشدده وأفلاطونيات جملها التي غزت عقل العاشق الوله، وبات العاشق إنساناً جميلاً لكن أنثاه افتقدت ذاك الذكر الذي تبحث أنثاه عنه في شخص الرجل منذ الأزل.

تقدم الموت وانتصر عندما فقدت الزهرة أملها بالحصول على لقاح الذكر، وبحثت في كل صوبٍ عن ذكر ولكنها لم تتخلى عن ذاك العاشق المفعم روحيا بالحب والميت جسدهٌ من حرارة اللثم والقبل .

وبات أطفال العاشق من أبٍ آخر ولا يزال العاشق مثالياً والرذيلة تنخر جسد زوجته والحب يبرر ، حب روحي.

المرأة مدافعةً عن تصرفاتها:

ما أكرهُ شيئاً قدر كرهي أن يكون الحب واعظاً! إني جسد وروح ويحتاج فيَّ الجسد لحضنٍ وحنان وقبل.

فقبلة المحب هي مختصر لكل جمل العالم التي يريد إيصالها لسان عاشق متيم.

الحب واعظاً:

الحب لا علاقة له بالجسد، فالجسد قفص الروح وموت الحب في شهوة الجسد.

ويصرخ مرةً أخيرة العاشق الأفلاطوني: أصبحت لا حلم لي إلا أن أحلم .

فترد الرذيلة : لولا حرارتي ما أنجبت بأحلامك إلا الجنون والهبل، فالحب عندما يعظ يصبح كالذئب الناسك في حظيرة الغنم.

واستفاق القلب من سباته وقال للجميع :كلموني و حدثوني على قدر عقلي فأنا لا أفهم تعقيد لغتكم ، أفنيت عمري في عملي ونبضي على قولي يشهدٌ، ما خفت التعب و لا تململتٌ واليوم في محاورتكم أتخوف حتى من أن أنبض، لأنه في عرفكم (كل ما ليس لكم فيه صالح تسمونه محرماً) فقير أنا إن فكرت فيكم، ولا معنى لي ولا رجاء يؤمل مني، فالحياةٍ

عاريـة بـلا محبـة، ولا تواصـل لـي مـع النـور، إن لـم يكـن الحـب روحـاً وجسـد ولكنـي أعـيشٌ بسـاطتي وأغتـرف مـن وجـه الأرض طيبتـي، روحـاني وجسـماني كنـت فيهـا وعنـدكم بالاسـم كلاهمـا والمضـمون لـو أطعـتكم لتحولـت وحشـاً يـا سـادة، لا تقنعـوني أن الشـهوة ذئـب يتحضـر إلا بالمحبـة، وأن الحـب بـلا إرضـاء الجسـد والـروح معـاً يمكـن أن يسـمى إلا سـجناً باختصـار تلـك حكايـة مغفلة.

وانتهـت المحـاورة ولا يـزال القلـب يعمـل مـا يشـعر بـه والجميـع غـارقون فـي السفسـطة بـلا فائـدة، لأن للقلـب سـلطان لا ينـازع فـي الحياة والمحبة

أحمد محمد إبراهيم

قصة رقم 9: متلازمة السيدتين

طوال عمري وأنا أسمعهم يقولون عني (ذكي وسريع البديهة) لكني لم أكن أعير الأمر أهمية وإن كنت – ولا أنكر- أني أطرب لهذا الوصف المتكرر.

على أن ذكائي ككل شيءٍ مبدع بلا هوية محددةٍ مميزةٍ،وهو ما جعلني على الدوام أسأل نفسي، هل ذكائي حكمة وخير أم خبث وشر، ولطالما نجحت بفهم وتوظيف مخاوف والدي علي لأكون أولاً في قمع محاولة أيٍ منهما أو كلاهما لضبطي وتوجيهي بطريقتهما الصارمة لأكون كما يشتهيا لا كما أريد.

فأمي إذا ما شعرت بضيق لا يمكن لشيء في الكون وإن وصل حدَّ إجراء عملية تجميل ، أن يزيل الكآبة عن وجهها ، أما أبي فكان نوعاً ما مميزاً بقدرته على تجاهل مصدر الإزعاج أياً يكن، بل يصل لحد اعتبار المزعج لم يكن موجوداً ذات يوم، وكلمّا حاولت أمي أن تضبط سلوكي وتقيدني بنظامها الخاص، كنت أجد باللجوء لأبي مخرجاً مشرفاً من نظامها القاسي ، فأخاطب فيه مخاوفه وطموحاته: بابا الإبداع بلا هوية وبلا قيود إلا الأخلاقية، فكنت أدغدغ ماضيه و أجعله يرى نفسه المتمردة التي سحقها جدي فيه قد خرجت منه بي ، كنت أعرف أنّ أبي علماني وأنَّ أمي متدينة، وهذه إحدى أهم ركائزي في تعميق مجرايَّ الخاص وسلوكي المريح والمناسب

لقدراتي و توجهاتي بينهما ، نعم كنت كجدول صغير بين جبلين ، فإن أزعجتني أمي بأن تفرض عليَّ دين أو تقليد أو سلوك مجتمعي ، لذت بأبي قائلاً : جهل و تخلف ، كلمات أبي الأقرب لقلبه وعقله ونمط تفكيره، حتى و إن كانت أمي تريد تعليمي القيام بواجبٍ اجتماعي كأداء العزاء ، كنت أتهرب منها بالتمترس خلف ذهنية أبي اللا تقليدية والفريدة التي لا مثيلّ لها، كانت أمي تريدني أن أبلغ أعلى الدرجات العلمية و لا تدخر جهداً في سبيل تحقيق هذا الهدف، ليس خوفاً على مستقبلي ، وإنَّما خوفاً على سمعتها كمربيةٍ لولدٍ وحيدٍ، فمن المعيب أن تكون الكنة الوحيدة التي تنتمي لعائلة أبي العلماني (الكنة المتدينة المميزة) والتي تخاف أن لا تنجح بإخراج عالم ولا سيّما أني وليدها الوحيد ، وبكر العائلة ، كنت الحفيد و أرض معركة بين أمي ومحيطها العائلي الجديد، وكان علي أن أجد طريقةً ما تحقق التوازن في حياتي بين الأطراف المتصارعة على إظهار مهاراتها بتربيتي ، فالأكل مثلاً له تقاليد جامدة عند عائلة أبي وكأنها عائلة ملكية، فمثلاً ربما يأكل الكلب معي على الطاولة ، ولكن لا يجوز حتى أن اسمح للخدم بمخاطبتي دون كلمة سيدي، أما أمي كانت ترى أكل الكلب على مائدتنا حرام لأنه نجس ، و كم شهدت معارك حول الأسلوب الأنجع لتربيتي ، ويشتد نزاع جدتي وأمي ، وأقف خائفاً ومشدوهاً ، تصرخان بوجهي ، وكل واحدةٍ منهما

تطالبني أن أنفذ أوامرها ، و كم كنت أعيش مرتبكاً و خائفاً من إغضاب إحداهما ، وصرت مع جدتي أعيش بوجهٍ آخر غير ذاك الذي أرتديه بحضور أمي، و ترعرعت أمارس شخصياتٍ عدة ، لأرضي الجميع ، دون أن أعرف السوي من اللا سوي في تصرفاتي وسلوكي، هل كنت أدري أني أعمق مرضاً يستفحل في شخصيتي ؟ بل أؤسس بما أفعل لشخصٍ بلا شخصية ؟ هل كان ذنبي أم ذنبهما أم ذنب أبي ، لا أدري؟ لكني بت على علمٍ بنتائج هذا الخلاف وأحصد خلافهما في كل تفاصيل حياتي، من ظلم الآخر ؟ جدتي أم أمي ؟ أم أنا ؟كان أبي كما سبق وأخبرتكم علمانياً بفعل ما عاناه من عنصرية رجال الدين ، وكانت أمي متدينة بفعل التقليد لأنها كانت من بيئة متدينة ، وبفعل العادات والتقاليد تحولت مع الأيام لمتدينة، لم يكن أبي يكره الدين كفكرة بدليل أنه اختار أمي زوجة وهي من طبقةٍ متدينة ، وإن كانت نظرته طبقية ، ولكن من أين نبعت مخاوفه من التدين؟ رأى ذات يوم، كما تبيَّن لي حين تسللت لمذكراته طفلاً اعتاد أن تكتب له أمه واجباته المدرسية رغم أنه بعمرٍ يستطيع معه القيام بكل وظائفه ، وأنها لشدة عاطفتها كانت ترى فيه مريضاً مصاباً بفرط النشاط (مرض الطاقات الجسدية الهائلة) والتي تبلغ حداً من النمو يفقد معها صاحبها القدرة على التركيز والانتباه لمَّا يطرح عليه ، فبإمكان المصاب بهذه القدرة العجيبة المسماة مرضاً،

لأننا لم نتمكن من استيعابها كحالةٍ صحيةٍ جيدة كونها خارجة عن المألوف وكما قال الإمام علي : (الناس أعداء ما جهلوا)وكم كانت تنفق السيدة الفاضلة العطوفة على طفلها ؟ أقول طفلها وسيبقى بعينها طفلاً ، إنها تكره بجزءٍ منها أن يشفى ، هذا لو سلمنا بفرضية أنه مريض، ولكن رغبتها ببقائهِ ضمن سيطرتها وتحت رعايتها لشدة خوفها عليه وتعلقها به، حوله لشابٍ يدعي البله ويرتاح لهذه العناية الفائقة والمركزة من أمه به ، رغم ذكائه وطاقاته الجسدية والفكرية الهائلة ، من هنا كان يرى أبي وحسب ما نقلت لكم من مذكراته الخاصة ، أنَّ المرأة ولشدة عاطفتها أو لكبر قلبها (كما استخدم العبارة حرفياً بمذكراته) لا يمكن أن تكون مصدراً لتمويل عقل أبناءها بما يلزمهم لمواجهة المستقبل ،إذا هكذا بدأ أبي يرى في أي عطف أو ضغط أو تهديد من أمي أمور تهدد مستقبلي ولا يجوز تمريرها أبداً بالتعامل معي ، أما عن أمي فقد رأت بشجاعة أبي وخروجه عن المألوف شيئاً مميزاً ، لسببين:أولاً: لفرادته عن محيطها المتدين ، ولأفكارهِ الغريبة التي لم تسمع بها قبلاً أو ضمن محيطها المتجمد فكرياً والمحصور بعقيدةٍ دينية ثابتةٍ وهامش المحاورة فيها قليل، ولم تكن تشعر إلا بالتقصير عند عبادتها لله، لأنهم علموها بمحيطها ، أن الإنسان مهما فعل يبقى مقصراً أمام أي نعمةٍ من نعم الله ناهيك عن سباقات الصبايا في التجويد وقراءة

القـرءان و قيـام الليـل وغالبـاً مـا كانـت أمـي بالقيـاس لبقيـة الصـبايا مقصـرةً بحسـب توصـيفهم وتعبيـرهم، وذلـك العـرف قـائم بالمجتمعـات التقليديـة التـي تتسـم بالطيـب والكـرم و الالتـزام الحرفـي والكبيـر بالعـادات، ومـن ناحيـة أخـرى فهـم شرسـون حـدَّ القتـل فـي سـبيل الحفـاظ علـى نمطهـم الحيـاتي والاجتمـاعي أمـام أيَّ دخيـل وتنتشـر بيـنهم بعـض العبـادات المشـوبة بنـوعٍ مـن الخرافـات التـي لا يقبلـون بهـا لا نقاشـاً ولا جـدلا، مـن هنـا كـان جميـع الشـبان المقربـون مـن بيئـة أمـي لـيس بينـهم مـن يجـذبها إليـه، ناهيـك عـن شـعورها العظـيم أو لنقـل شـعور جمعـي وعقـل جمعـي كمـا أسـماه يونـغ يتعلـق بـالنقص والشـعور بالتقصـير تجـاه الله مهمـا بلغـت عبـادتهم، ومـن هنـا كـان الجميـع يتبـارون بالإكثـار مـن عبـادتهم التـي لـم تكـن هينـةً البتـة، الكـل لا يمـل إلا أمـي بـدأت تبحـث عـن مهـرب لهـا مـن حيـاة السـباق البشـري الـذي لـم يفرضـه الله وفرضـه البشـر، بالمقابـل كـان أبـي ببيئـة علمانيـة الكثيـرون فيهـا معتـدلون فهـم يرفضـون الغيبيـات رفضـاً باتـاً ويـرونَّ العلـم بوابـةً وحيـدة للوصـول لله ، فالكـل مهمـا تبـاينوا كشـرقيين يـرون شـكل العلاقـة بـالله أهـم مـن الحقيقـة وأهـم مـن كلمـات الله و أنبيائـه و أيَّ شـيءٍ آخـر ، لأنهـم مبنيـون علـى نمـطٍ محـدد و قوالـب جمـودٍ تعيـد تكـرار ذاتهـا، مـلَّ أبـي مـن أحاديـث المحـيط عـن تخلـف النمطيـين ، و لا سـيَّما وأنـه رأى نهايـات مفجعـة لـبعض المشـككين بالقـدرات الإلهيـة ولـذلك بـدأ بالبحـث

عن المختلف، وجد أهل أبي بأمي ضالته المنشودة التي تخرجه من مستنقع التكرار الممل ورأت أمي نفسها تتحول لقائدٍ في بيت حموها الجديد ، وقد أدى وجودها لتحفيز وإبراز الحاجة للتدين التي كانت موجودة في مكان ما لديهم ولكنهم يخافون من عواقبها ، وبدأت أمي تأمهم بالصلاة وتعلمهم تلاوة القرآن ، فها هي جارتنا ذات اللباس القصير والشعر الكاريه والعدسات التي تتلون باستمرار، تثق بأمي وتبدأ بتغيير عاداتها على يد أمي، وبدأت ترافق أمي لصلاة الجمعة في جامع الحي القريب من البيت ، أما أمي فقد تغيرت فيها أشياء عديدة إلا كآبة وجهها التي بقيت طاغية فوق كل تغيير، إنها لا تستطيع أن ترتدي أقنعة المجتمع المخملي الراقي بتقليد الغرب فقط ، إنها بكل بساطة لا تملك إلا وجهاً واحداً ، فإما سعيدة مع الجميع وللجميع ، وإما غاضبة من الجميع وعلى الجميع ، بعكس محيطها الجديد الخبيث الذي يضمر ويبدي ما يتفق ومصلحته الشخصية لا القيم والأخلاق الإنسانية، ولكن لم تستمر سعادة والديَّ طويلاً بعد أن كبرت بينهما ، كانت جدتي الإسفين الذي مزق حبهما وبدّل أجمل أوجه التعايش بينهما ليكون مصدر شقاقٍ وخلافٍ بينهما، كنت طفلاً لم أكن أعرف نتيجة صراع السيدتين على البيت ، كان همي الوحيد أن أبقى حراً خارج صلابة نظامهما المفروض علي لأكون ما يشتهيان هما (أمي وجدتي)، لا ما أريد أنا ، بل دون أخذهما

رغباتي بعين الاعتبار، كنت كنهرٍ صغير يعمق مجراه صوب الحرية حرية الخيار والحياة ، أردت أن أصب وأنتهي بطموحاتي حيثُ أنتمي وأتمنى وأريد ، نعم أثمرت أقنعة احتيالي بالفشل الذريع ، إذ إني أصبحت أميَّاً بشهادةٍ جامعيةٍ ، وكارهاً للعلم والعمل معاً، وكنت أشبه ما أكون بكومة القش التي تنتظر شرراً لتشتعل ، وكلما فشلت بتجربة رميت فشلي عليهما، ورثت أمي بسببي فراشا زوجياً بارداً ومارس أبي حياة التشرد وكأني حرضت فيه عقدة الصعاليك ، تلك العقدة التي تجعل الإنسان مسؤولاً عن فقر الفقراء وتعاستهم ، وتنحت جدتي عن حياتنا تماماً ،لم تكن العبارة السابقة نهاية لمعاناتي وعقوبتي ، لقد عزفت عن الزواج وأصبت بكرهٍ شديدٍ للزواج، كان يخيل لي أن الزواج عقوبتي، وكنت كلما قررت الزواج خفت من صراعٍ جديدٍ أعيشه بين أمي وزوجتي وتراجعت عن قراري، وكان رفض الكثيرات هو الجواب على طلبي ، والمهم أنني بقيت أكره الزواج مخافة أن أعاقب بعلاقةٍ دامية بيني وبين زوجتي كتلك التي خلفتها جدتي بين والديَّ، وعليه كنت دائماً ما استيقظ من كابوسٍ مرعب ينتابني بشكلٍ دائم ، عجوز شمطاء تحمل سكينه وتقطعني لنصفين وتتلذذ بتذوق دمي المسّال ، وبقيت بلا زواج طوال عمري وكان الكل لا يزال يصفني بأني سريع البديهة وذكي ويرونني سعيداً بالممتلكات الكثيرة التي لدي وصحتي الجسدية الممتازة ،

ولكن أحدهم لم يكن ليعرف كم أعاني من صراعاتي مع الماضي ومع الكابوس من الزواج بل أستطيع القول أني كنت مصابا بمرض انفصام الشخصية ، كنت شخصين يعيشان بشخصٍ واحد ، و لم يك أحد قادر على التعايش مع تقلباتي النفسية والأخلاقية ، فقد أنقد شخصاً يأكل مع خدمه ، ثم تراني بعد لحظاتٍ أسأله أن يتواضع لله في معاملة خدمه هكذا كنت ضحية بيت السيدتين ، أو كما شخص طبيبي النفسي مرضي بمتلازمة طباع السيدتين المتنافرتين.

أحمد محمد إبراهيم

الروائي المدرس: أحمد محمد إبراهيم.

المؤلف في سطور:

- من مواليد عام 1986 دمشق
- حاصل على ليسانس من جامعة دمشق /كلية الآداب قسم الجغرافية.
- حاصل على دبلوم تأهيل تربوي من جامعة دمشق/ كلية التربية.
- حاصل على ماجستير في العلوم و البحوث السكانية من المعهد العالي للسكان بدمشق.
- يتابع حالياً دراسته بالمعهد العالي للترجمة و الترجمة الفورية بدمشق.
- صدر له رواية بعنوان لا أدري.

أحمد محمد إبراهيم

.محال أن يولد في حيينا قمر .